الباب الثالث

فى آداب المعلّم[1] والمتعلّم

وهى ثلاثة انواع :

النوع الاول : آدابهما فى نفسهما وفى مجلس الدرس.

النوع الثانى : اداب يختص بها المعلم، وقد يشاركه فى بعضها المتعلم.

النوع الثالث : آداب يختص بها المتعلم.

---

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم ١٥

obeikandl.com

obeikandl.com

النوع الأول

آدابهما فى نفسهما، وآدابهما فى مجلس الدرس

فأما آدابهما فى نفسهما:

فمنها: أوَّل ما يجب علَى كلّ منهما أن يقصد وجهَ الله بأشغاله واشتغاله لا لمال ولأجرة، أو شهوة، أو سمعة، أو تمييز عن الأشباه أو تكثر بالمشتغلين عليه، أو المختلفين إليه، ولا يَشين علمَه أو تعليمَه بشيءٍ من الطَّمع فى رفق يحصل من تلميذ، أو خدمة، أو مال وإن قلَّ ولو علَى صورة الهدية التى لولا اشتغاله لما أهداها إليه كما أن المتعلّم لا يَشينُ طلبه بطمع فى شيءٍ يُعطيه له الشيخُ، أو أن ينزل اسمه فى طلبة العلم لينالَ شيئًا من معلوم أو غيره، ودليلُ هذا كلّه ما مرَّ فى تحذير مَن أراد بعلمه غيرَ الله وقد تقدّم فى أوَّل الفصل الثانى من الباب الأوّل[1]، قال سفيان بنُ عيينة[2]: كنت قد أُوتيتُ فهمَ القرآن، فلما قبلتُ الصُّرَّة من أبى جعفر سُلِبْتُه[3]، وقد صحَّ عن الشافعى أنه قال: وَددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، وما نسب إلىَّ شيءٌ منه[4]، وقال ﷺ: ما ناظرتُ أحدًا وأحببتُ أن يخطئ[5]، وقال ﷺ: ما أوردتُ الحقَّ والحجةَ علَى أحدٍ

---

(١) انظر ص ١٠ فما بعد من هذا الكتاب.

(٢) هو أبو محمد، سفيان بن عينة بن ميمون الهلالى الكوفى: محدّث الحرم المكّىّ، من الموالى كان حافظًا ثقة، واسع العلم، كبير القدر، وكان أعور، قال الشافعى: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفى بها سنة ١٩٨هـ، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤، والأعلام ٣/ ١٠٥.

(٣) تذكره السامع والمتكلم ص ١٨، وهو يقصد هنا أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى، والجامع لآداب الراوى وأخلاقة السامع ١/ ٣٦٧.

(٤) تذكره السامع والمتكلم ص ١٩، وكتاب العلم للنووى ص ٨٧.

(٥) صفوة الصفوة ٢/ ٢٥١، وكتاب العلم للنووى ص ٨٧.

فقبلها منّى إلاّ هبتُهُ واعتقدْتُ مَودَّتَهُ، ولا كابرنى عَلى الحق أحدٌ ودافعَ الحجَّةَ إلاّ سقط من عينى[١] وعن أبى يوسف[٢] يا قوم أريدوا بعلمكم اللهَ، فإنى لم أجلس مجلسًا قطُّ أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقُم حتى أعلوَهم، ولم أجلس مجلسًا قطُّ أنوى فيه أن أعلوهم إلاّ لم أقم حتى أُفتَضَح[٣].

ومنها: أن يكون كلٌّ منهما قوىَّ اليقين، الذى هو رأسُ مال الإيمان كله قال ﷺ: «اليَقينُ الإيمَانُ كُله»[٤]، وقال ﷺ: «تَعَلَّمُوا اليَقينَ»[٥].

ومنها: أن يحافظ[٦] علَىَ القيام بشعائر الإسلام، وظواهرِ الأحكام كإقامةِ الصلوات فى مساجد الجماعات، وإفشاءِ السَّلام للخواصّ والعوَام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبرِ علَى الأذى بسببِ ذلك، صادعًا بالحقّ عندَ السلاطين باذلاً نفسَهُ لله، لا يخافُ فيه لومةَ لائم ذاكرًا قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

وكذلك يقوم[٧] بإظهار السنن، وإخماد البِدعِ، ويقومُ لله فى أُمور الدّين وما فيه من مصالح المسلمين علَى الطَّريق المشروعِ، والمَسلك المطبوع، ولا

---

(١) صفوة الصفوة ٢/ ٢٥١، وكتاب العلم للنووى ص ٨٧.

(٢) هو أبو يوسف القاضى، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفى البغدادى، صاحب الإمام أبى حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه: كان فقيهًا علاّمة، من حفاظ الحديث، ولد بالكوفة، وتفقّه بالحديث والرواية، وكان واسع العلم بالتفسير والمغازى وأيام العرب، ولى القضاء ببغداد أيام المهدى والهادى والرشيد، ومات فى خلافته ببغداد سنة ١٨٢هـ، وهو على القضاء، وفيات الأعيان ٦/ ٣٧٨، والسير ٨/ ٤٧٠.

(٣) كتاب العلم للنووى ص ٨٧ ـ ٨٨، فيض القدير ٣/ ٢٧٤.

(٤) المصنوع للقارّى ١/ ٢١٨، تغليق التعليق لابن حجر العسقلانى ٢/ ٢١، كشف الخفاء ٢/ ٥٥٥، وفيه: (قال الصغانى: موضوع كما نقله عن القارّى)

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٩٩، وإتحاف السادة المتقين ١/ ٤٠٩ وتخرج الإحياء ١/ ٧٢، وكنز العمال حديث رقم ٧٣٣٧.

(٦) أى يحافظ كلّ منهما.

(٧) أى كلّ من العالم والمتعلم.

يرضى من أفعاله الظَّاهرةِ والباطنة بالجائز منها، بل يأْخذُ بالأكمل فإنَّ العلماءَ هم القدوة وإليهم المرجع فى الأحكام، وهم حُجَّةُ اللهِ على العوام، وقد يراقبُهم للأخذ عنهم مَن لا ينظرونه، ويقتدى بهديهم مَن لا يعلمونه، وإذا لم يَنتفع العالمُ بعلمه فغيرُهُ أبعدُ عن الانتفاع به، كما قال الشافعى: ليس العلمُ ما حُفِظ، العلمُ ما نفَعَ[١]، ولهذا عظُمت زلةُ العالم لِمَا يَترتَّبُ عليها من المفاسد لاقتداءِ الناس به.

ومنها: أن يتخلَّق كلٌّ منهما بالمحاسن[٢] التى ورد الشَّرعُ بها من الزُّهد والسَّخاءِ والجود وطلاقة الوجه، من غير خروجٍ إلى حَدّ الخلاعة، وكظم الغيظ، وكفّ الأذى عن الناس، واحتمالِهِ منهم، وأن يتنزَّه عن دنىءِ الأكساب طبعًا، ومكروهها شرعًا، كالحجامة، والدّباغة، والصياغة، وملازمة الوَرَع والخشوع، والسكينة والوَقار، والتَّواضُع وإفشاءِ السَّلام، وإطعام الطَّعام، والإيثار وترْكِ الاستئثار، والإنصاف وترْك الاستنصاف، وشُكر المتُفضّل، والسَّعى فى قضاءِ الحاجات، وبذل الجاه والشَّفاعات، والتلطف بالفُقراء، والتحبُّب إلى الجيران والأقرباءِ، ومُجانبة الإكثار من الضَّحِك والمزاح[٣] فإنه يقللُ الهيبةَ ويُسقِط الحشمة كما قيل من مزَحَ استُخفَّ به، مَن أكثَرَ من شىءٍ عُرِف به[٤].

ومنها: أن يُلزِم نفسَه الخوفَ والحزَنَ والانكسار والصمتَ، ويُظهرَ الخشيةَ

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١٢٣، المدخل إلى السنن الكبرى ١/ ٣٢٥ تهذيب الأسماء ١/ ٧٥، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٩.

(٢) كتاب العلم للنووى ص ٨٨.

(٣) انظر هنا المزاح الجائز من المزاح الحرام كتاب (المراح فى المزاح).

(٤) هو من قول عمر بن الخطاب ﷺ، انظر المعجم الأوسط ٢/ ٣٧٠، مسند الشهاب ١/ ٢٣٧، وشعب الإيمان ٤/ ٢٥٧ و ٢٦٣ وفتح البارى ٧/ ٢٩، التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٨٥، وفيض القدير ٦/ ٢١٣.

علَى هيئتِه وكسوته، لا ينظرُ إليه ناظرٌ إلاّ ويكون نظرُهُ مذكّراً بالله، وتكونُ صورتُهُ دليلاً علَى علمه، قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلمَ، وتعلموا للعلم السكينةَ والحلم، وتواضعوا لمن تَعَلَّمُونَ منه، ولْيتواضعْ لكم مَن يتعلّم منكم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكُم بجهلكم[1] وفى الخبر: إنَّ مِنْ خِيَار أُمتى قَوْمٌ يَضْحَكُونَ جَهْرًا مِنْ سِعَةِ رَحْمَةِ الله، وَيَبْكُونَ سِرًّا مِنْ خوفِ عذابِه، أبدانهُمْ فى الأرضِ وقلوبُهُمْ فى السماءِ، أرواحُهُم فى الدُّنْيا وَقُلُوبُهُمْ فِى الآخِرَةِ[2].

ومنها: ملازمة الآداب الشَّرعيَّةِ القولية والفعلية، الظَّاهرة والخفيَّة، كتلاوة القُرآن وذكْر الله بالقلب واللّسان، والدَّعوات والأذكار آناءَ اللَّيل وأطرَافَ النَّهار ومن[3] نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحجّ البيت الحرام والصلاة والسلام علَى النبى ﷺ، فمحبتُه[4] وإجلالُه وتعظيمُه ﷺ واجبٌ، فكان الإمامُ مالك إذا ذُكر النبى ﷺ يتغيَّرُ وجْهُه وينحنى[5]، وكان جعفرُ بن محمد[6] إذا ذُكر النبىُّ ﷺ اصفَرَّ[7] وكان القاسم[8] إذا ذُكر النبىُّ ﷺ يَجِفُّ لسانُه فى

(١) شعب الإيمان ٢/ ٢٨٧، والزهد لابن أبى عاصم ١/ ١٢٠ والفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٧٩، وفيض القدير ٣/ ٢٧٤ وانظر أيضًا الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١/ ٩٣.

(٢) شعب الإيمان ١/ ٤٧٨ والمستدرك على الصحيحين ٣/ ١٩ وحلية الأولياء ١/ ١٦ والإصابة ٤/ ٧٥٤.

(٣) أى: وأن يكثر من نوافل العبادات.

(٤) المقصود به النبى محمد ﷺ.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢١، ٢٢

(٦) هو أبو عبد الله، جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمى القرشى، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة بالعلم، أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لانه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار مع الخلفاء من بنى العباس وكان جريئًا عليهم صدّاعًا بالحق، توفى فى المدينة سنة ١٤٨هـ.

(٧) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢.

(٨) فى تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢: (كان ابن القاسم إذا ذكر النبى ﷺ . . .) وقال المحقق: هو عبد الله بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك.

فيه هَيْبةٌ لرسول الله ﷺ[١]، وينبغى إذا تُلى[٢] القرآن أن يتفكَّر فى معانيه وأوامرِه ونواهيه، وليحذر من نِسيانه بعد حفظه، وأن يقرأ القرآن فى كل سبعةِ أيامٍ[٣] فهو وِرد حَسَنٌ ويقال من قرأ القرآنَ فى كلّ سبعةِ أيَّامٍ لم ينسَه قطُّ[٤]، وأن يكون له وِردٌ راتبٌ كلَّ يومٍ لا يُخِلُّ به.

ومن الآداب: التنظيف بإزالة الأوساخ، وقصّ الأظفار، وإزالة الشّعورِ المطلوب زوالها، واجتناب الرَّوائح الكريهة، وتسريح اللّحية، وليجتَهدْ فى الإخلاص فى التوبة والدَّوام عليها من الأفعال الذَّميمة[٥] وليُلازم الأفعال الحميدَةَ الظَّاهرةَ والباطنةَ، والمقامات العليّة، والأحوال السنيّة، وأعلاها محبةُ الله الجامعةُ لكلّ فائدة، المُجنِّبَةَ لكلّ خَصْلَة فاسدة، وكذلك محبَّةُ رسوله ﷺ واتباعُه، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) الآية.

ومنها: أن يطهّرَ[٦] نفسَه من الخبائث الباطنة، من مساوئ الأخلاق، ومذموم الأوصاف كالحسد والرِّياءِ والإعجاب واحتقار الناس والغلّ والبغى والغضب لغير الله والغشّ إلى غير ذلك من تعدُّد أوصاف خبائث النفس، فكما لا تصحُّ الصلاةُ التى هى وظيفةُ الجوارح إلاّ بتطهير الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصحُّ عبادةُ الباطن إلاَّ بعد طهارته من خبائث الأخلاق، قال النبىُّ ﷺ: بُنِيَ الدّينُ علَى النَّظَافَةِ[٧]، وَالْقَلْبُ مَنْزِلُ الْمَلاَئِكَةِ، وَمَهْبَطُ أثرِهم وقال

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢.

(٢) انظر فضائل القرآن لابى عبيدة القاسم بن سلام ص ١١١ ـ ٢١٥ (بتحقيقنا).

(٣) انظر فضائل القرآن لأبى عبيد ١٧٧ (بتحقيقنا) وجمال القراء للسخاوى ١/ ١٨٩ (بتحقيقنا).

(٤) قلت: وهذا أصلُ ابتداع السّبع الحسن.

(٥) الجار والمجرور فى قوله من الأفعال الذَّميمة متعلق بالمصدر، وهو إخلاص، أى فى إخلاص التوبة من الأفعال الذَّميمة ولا يكون متعلقا بالدّوام فيفسد المعنى.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٧) المصنوع للقارّى ١/ ٧٧، وكشف الخفاء ١/ ٣٤١

ﷺ : لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ[١]، والصّفاتُ الرَّديئَةُ فِي الْقَلْبِ كلابٌ نَابِحَةٌ، ونُورُ الْعِلْمِ لاَ يَقْذِفُهُ اللهُ فى الْقَلْبِ إلاَّ بِوَاسِطَةِ الْمَلاَئِكَةِ، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾[٢] (الشورى: ٥١) وقال ابنُ مسعودٍ: ليسَ العلمُ بكَثْرَةِ الرِّواية، إنَّما العلمُ نورٌ يُقذَفُ فى القلبِ[٣]، ووعظ بعضهم فقال: طهِّروا قلوبكمْ من الأغيار تَصْلُح لنزول القرآن والأنوار، طهّر المنزل حتى ينزل، ومَن حضل له الساكن طابت له المساكنُ، ومَن لم تُفتَح له المنازلُ رضى بسكنى المزابل (من المديد):

إنَّ بيتًا أنتَ ساكنهُ
غير مُحتاج إلى السُّرُجِ[٤]
ومريضًا أنت عائدُهُ
قد أتاهُ الله بالفَرَجِ
وجهك المأمول حجتنا
يوم تأتى الناسُ بالحُجَجِ

وكان الشّبلى[٥] يقول (من المقتضب):

---

(١) سنن النسائى ٧/ ١٨٥، والأحوذى ٨/ ٧٢ والسنن الكبرى ٣/ ١٤٨، وشرح النووى على صحيح مسلم ١٤/ ٨٤، ومسلم رقم ٢١٠٧ فى اللباس، والترمذى رقم ٢٤٧٠ فى صفة القيامة، وأبو داود ٤١٥٣ فى اللباس، وانظر جامع الأصول ٤/ ٨٠٣ ـ ٨٠٨.

(٢) وحيًا بواسطة الملَك. أوْ من ورآءِ حجاب، نودى يا موسى، أو يُرْسل رسولاً ليبلّغ أُمَّتَه فيكون بين الحق وبين المُبلَّغ من الأمة اثنان: الرَّسول والمَلك وبين الرَّسول والحقّ جلّ جلاله واحدٌ وهو المَلَك.

(٣) وينسب هذا القول للإمام مالك، انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٥، والجامع لأخلاق الراوى ٢/ ١٧٤ وفيض القدير ٦/ ١١٩ و ٩/ ٣٨٨، وحلية الأولياء ٦/ ٣١٩.

(٤) لأبى بكر الشبلى كما فى المدهش ١/ ٢١، وهى مما نسبت إليه كما فى ديوانه ص ١٣٩.

(٥) هو أبو بكر، ودُلف بن جحدر الشبلىّ: ناسك، كان فى مبدأ أمره واليًا فى دنباوند، ثم ولى الحجابة للموفق العباسى، وكان أبوه حاجب الحجّاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح له شعر جيد، سلك فيه مسالك المتصوفة [illegible] إلى =

اطلبوا لأنفسكم
مثل ما وجدتُ أنا[١]
قد وجدْت لى سكنًا
ليس يُشبِهه السَّكنا
إن دَنوتُ قَرَّبنى
أو بَعُدْتُ عنه دَنا

وقد ابتُلى بعضُ أصحاب النفوس الخبيثة من فُقهاء الزمان بكثيرٍ من هذه الصفات الذَّميمة إلاَّ مَن عصمَه اللهُ، وأدوية ذلك مستوفاةٌ فى كتب الرقائق ومن أنفعها كتاب الرِّعاية[٢] للمحاسبى[٣].

ومن أدوية الحسد أن يعلم أن حكمةَ الله اقتضت جعلَ هذا الفضل فى هذا الإنسان فلا يعترضْ ولا يكرهْ، فإن اعترضَ وكره فسُنَّةُ الله فى مثل هذا جرت أن يسلبَه حالتَه التى أنعم بها عليه وأن يَزيدَ مَحسُودَه نِعَمًا لشُكره وتواضُعه وعدَم غَضبه لنفسه، وما أحسنَ ما قال الإمام المعافى بنِ زكريا الموصلى[٤] (من المتقارب):

= قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، توفى فى بغداد سنة ٣٣٤هـ، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، والأعلام ٢/ ٣٤١.

(١) ليست فى ديوانه، وهى فى المدهش ١/ ٤٧٥ بلا نسبة

(٢) هو كتاب: «الرعاية لحقوق الله عز وجل» وهو مطبوع مشهور وانظر تذكرة السامع والمتكلم ٢٤.

(٣) هو أبو عبد الله، الحارث بن أسد المُحاسبىّ: من أكابر الصوفية كان عالمًا بالأصول والمعاملات، واعظًا مبكيًا، وهو أستاذ أكثر البغداديين فى عصره، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم، ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد سنة ٢٤٣هـ، تاريخ بغداد ٨/ ٢١١، والأعلام ٢/ ١٥٣.

(٤) هو أبو الفرج ابن طرار، المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهروانى: قاضٍ، من الأدباء الفقهاء، له شعر جيد، مولده ووفاته بالنهروان فى العراق، ولى القضاء ببغداد، نيابة، وقيل له الجريرى لأنه كان على مذهب «ابن جرير الطبرى» له تصانيف ممتعة ومفيدة فى الأدب وغيره، قال السيوطى: كان من أعلم الناس فى وقته بالنحو واللغة والفقه وأصناف الأدب، ثقة، توفى فى سنة ٣٩٠هـ، وفيات الأعيان ٥/ ٢٢١، وطبقات الحنّاظ ٤١٧.

ألا قُلْ لمن كان لى حاسداً
أتدْرى علَى من أسأت الأدَبْ[١]
أسأتَ علَى الله فى فعله
لأنّك لم ترْضَ لى ما وهبْ
فجازاك عنى بأن زادنى
وسدَّ عليك وُجوهَ الطلبْ

ولأبى حنيفة رحمه الله فى الحسد (من البسيط):

إن يحسدُونى فإنى غير لائمهم
قبلى كثيراً أهالى الفضل قد حسَدوا[٢]
فدام بى وبهم ما بى وما بهم
ومات أكثرُنا غيظًا بما يجد

ومن أدوية الرّياءِ أن يعلم أنَّ الخلق لا يقدِرُون علَى نفعه ولا ضرّه بما لم يقدّرْه الله تعالى عليه، فلا يتشاغل بمراعاتهم فيتعب نفسه، ويرتكب سخطَ الله مع أن الله يُطلعهم علَى نيته وسريرته فى ريائه لهم وخوفه منهم.

ومن أدوية الإعجاب أن يعلم أنَّ علمه وفَهمَه وَجودَة ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النّعم فضلٌ من المنعم جل وعلا وهو معه عارية وأمانة، وأن مُعطيه إياها قادرٌ علَى سلبِها منه فى طَرفة عينٍ، كما سلب بلعام[٣] ما علمه فى طرْفة عينٍ، نسألُ اللهَ السلامة.

---

(١) الأبيات فى تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٢٢، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٥٤.

(٢) البيت للبيد بن عطارد بن حاجب التميمى كما فى بهجة المجالس ١/ ٤١٣، وانظر طبقات الحنفية ١/ ٤٩٨، وشرح الحماسة ١/ ٣٨١.

(٣) هو بَلْعَامُ بن بَاعُورَاء، من بنى إسرائيل الذى دعا على موسى عليه السلام وقومه، وقصته مذكورة فى التفاسير، وفيه أنزل الله عزّ وجل الآيتين ١٧٤ ـ ١٧٥ من سورة الأعراف.
قال الإمام الغزالى: فكذلك العالم الفاجر، فإن بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات -

ومن أدْوية الاحتقار[١] التأدُّبُ بما أدَّبَ اللهُ تعالى به عبادَهُ، قال تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ (الحجرات: ١١) وقال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (النجم: ٣٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) فربما كان هذا الذى دونه أطْهَر قلبًا، وأخلص نيّة، وأزكى عملاً، كما قيل: إن الله تعالى أفنى ثلاثةً فى ثلاثة: وليَّه فى عباده، ورضاه فى طاعته وغضبهُ فى معاصيه[٢]، ثم إن المحتقِرَ لا يعلمُ بماذا يختم له، ففى الصّحيح: إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الْجَنَّةِ[٣] ... . الحديث، نسأل اللهَ العافيةَ من كلّ داء.

ومنها: أن يتجنبَ مواضعَ التُّهم، فإنَّه يُعَرِّضُ نفسَه وعرضَه للوُقوع فى الظّنون المكروهة، فإن اتفق له وُقوعُ شيءٍ من ذلك لحاجة أخبر مَن شاهَدَهُ وأصحابَه بحقيقة ذلك الفعل لئلاً يأثموا بظنهم الباطل ولئلاً ينفروا عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢) ومن هذا الحديثُ الصحيح: إن رسول الله ﷺ قال للرَّجُلَيْن لَمَّا رَأَيَاهُ يَتَحَدَّثُ مَعَ صَفِيَّةَ[٤] فَوَلَّيَا: علَى رِسْلِكُما إنَّهَا صَفِيَّةٌ، ثم قال: إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ فخفْتُ أنْ يَقْذِفَ فِي قلُوبكُما شَيْئًا، ورُوِى فتهلكا[٥].

= فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يأت فهو يلهث» الإحياء ١/ ٤٥، وانظر أيضًا تفسير القرطبى ٧/ ٣٠٣، والطبرى ٨/ ٨٢، وابن كثير ٢/ ٢٦٧ وانظر هذا الكلام فى تذكرة السامع والمتكلم ٢٥.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٢٦.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٢٦.

(٣) رواه البخارى ١١/ ٤١٧، ومسلم ٢٦٤٣، وأبو داود ٤٧٠٨، والترمذى ٢١٨٣، وأحمد ١/ ٢٨٣، والبغوى ٧١.

(٤) هى أم المؤمنين، صفية بنت حُيَىّ بن أخطب، من الخزرج، من أزواج النبى ﷺ، كانت فى الجاهلية من ذوات الشرف، تدين باليهودية، من أهل المدينة المنوّرة، ثم أسلمت، فتزوجها رسول الله ﷺ، توفيت فى المدينة سنة ٥٠هـ، الإصابة (كتاب النساء) ترجمة رقم ٦٤٧.

(٥) الحديث فى صحيح مسلم عن صفية بنت حُيَىّ ﵂ ٢/ ٢١٦ حديث رقم ٢١٧٥، والبخارى ٤/ ٢٤٠، وأبو داود ٢٤٧٠، وأحمد ٣/ ١٥٦، والبغوى ٤٢٠٨/١، وانظر أيضًا تذكرة السامع والمتكلم ٢٠، وكتاب العلم للنووى ٨٩.

ومنها: أن يكون[١] زاهدًا فى الدُّنيا غير مُبالٍ بفواتها مقتصدًا فى مطعمه وملبسه وأثاثه ومسكنه غير مترفه تشبيهًا بالسَّلف، ويتأكد فى حقّ الطالب أن يُقلّل علائقه من أشغال الدُّنيا، ويبعدَ عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلةٌ وصارفة، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب: ٤) ونقل يحيى بنُ معاذ الرَّازى[٢]: إنه كان يقول لعلماء الدُّنيا يا أصحابَ العلم قصوركم قيصريَّة، وبيوتكم كسرويَّة، وأثوابكم طاهريَّة، وأخفافكم جالوتيَّة، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونيَّة، ومآثمكم جاهليَّة، ومذاهبكم شيطانيَّة، فأين المحمديَّة[٣]؟ وقوله طاهرية بالطاء المهملة نسبة لطاهر بن الحسين[٤] المتولى علَى خُراسان، وأقلّ درجات العالِم أن يستقذرَ المتعلّق بالدُّنيا، فهو أولى باستقذارها فى حقّ نفسه، وعن الشافعى رضي الله عنه لو أُوصىَ لأعقل الناس صرف إلى الزُّهاد فليت شعرى مَن أحقّ من العلماء بزيادة العقل وكماله[٥]؟ وقال يحيى بن معاذ[٦]: لو كانت الدّنيا تِبرًا يفنى، والآخرة خَزفًا يبقى، لكان ينبغى للعاقل إيثارَ الخزف الباقى علَىَ التبر الفانى، فكيف والدُّنيا خزف فانٍ، والآخرة تبرٌ باق[٧].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ١٨.

(٢) هو أبو زكريا، يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير فى وقته، من أهل الرىّ، أقام ببلخ، ومات فى نيسابور سنة ٢٥٨هـ، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨، والحلية ١٠/ ٥٣، والأعلام ٨/ ١٧٢.

(٣) فيض القدير ٢/ ٤١٩.

(٤) هو أبو الطيِّب، ذو اليمينين، طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى: من كبار الوزراء والقواد، أدبًا وحكمة وشجاعة، وهو الذى وطّد الملك للمأمون العباسى، ولد فى بوشنج (من أعمال خراسان) وسكن بغداد، ثم ولاّه المأمون العراق وخراسان، وكان أعور، مات قتيلاً، أو مسمومًا بمرو سنة ٢٠٧هـ، تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣، والأعلام ٣/ ٢٢١.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ١٨.

(٦) هو أبو زكريا الرازى: واعظ، زاهد، لم يكن له نظير فى وقته، من أهل الرىّ، أقام ببلخ، وله كلمات سائرة مأثورة، ومات فى نيسابور سنة ٢٥٨هـ، الأعلام ٨/ ١٧٢.

(٧) تذكرة السامع والمتكلم ١٨، وفيض القدير ١/ ٤٨٣.

ومنها: أن يكون منقبضًا عن الملوك وأبناءِ الدّنيا لا يدخل إليهم صيانةً للعلم كما صانه علماءُ السَّلف، فمن فعل ذلك فقد عرَّض نفسه لما لا قِبَل له به ولا طاقة، وخان أمانته، فإن العلمَ أمانةٌ عنده، قال تعالى: ﴿ لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧) وقال تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ (المائدة: ٤٤) الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وقال ﷺ: «الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ علَى عِبَادِه مَا لَم يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهم»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن يُكرِمَ دينه فلا يدخل علَى السلطان ولا يخلوَنَّ بالنسوان ولا يُخاصمَنَّ أهل الأهواء(٢) قال الاوزاعى(٣): ما شيءٌ أبغض إلى الله تعالى من عالمٍ يزورُ أميرًا، وقال حذيفة(٤) رضي الله عنه: إياكم ومواقفَ الفتن، قالوا: وما هو؟ قال: أبواب الأُمراء، يدخل أحدُكمْ علَى الأمير فيصدقه فى الكَذب ويقول ما ليس فيه، فإنْ دَعَتْ إلى ذلك ضرورةٌ أو مصلحةٌ دينيَّةٌ فلاَ بأس(٥)، وعلَى هذا يحمل ما جاءَ عن بعض السَّلف فى المشى إلى المُلوك

---

(١) الفردوس ٣/ ٧٥، وكشف الخفاء ٢/ ٨٤، وميزان الاعتدال ٨/ ٨٤.

(٢) سنن الدارمى ١/ ١٠٢، والقرطبى ٧/ ١٤٠

(٣) هو أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعىّ: إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، كان ثقة، مأمونًا صدوقًا فاضلاً خيرًا كثير الحديث والعلم والفقه، ولد فى بعلبك، ونشأ فى البقاع، وسكن بيروت وتوفى بها سنة ١٥٧هـ، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٧، وطبقات الحفاظ ٩٣.

(٤) هو أبو عبد الله، حُذيفة بن حِسْل بن جابر العبسىّ، واليمان لقب حسل: صحابى، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سرّ النبى فى المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره وولاه عمر على المدائن (بفارس) وهاجم نهاوند وغزا الدينور، وماه سندان، ثم غزا همذان والرى، وافتتحها كلها عنوة، توفى فى المدائن سنة ٣٦هـ، الإصابة ترجمة رقم ١٦٥٢، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢١٩.

(٥) شعب الإيمان ٧/ ٤٩، والتمهيد ١٣/ ٥٧، والحلية ١/ ٢٧٧.

وولاةِ الأمر علَى أنهم قصدوا بذلك حصولَ الأغراض الدُّنيويَّةِ المساعدةِ للأحوال الدّينيَّةِ فاعْلَمْهُ والله أعلم.

ومنها: أن يكون شديدَ التَّوقى من محدَثات الأُمور، وإن اتَّفق عليها الجمهورُ[١] فلا تغترَّ بإطباق الخلقِ علَى ما حدَثَ بعدَ الصّحابة، وكُن حريصًا علَىَ التّفتيش عن سِيَرِ الصّحابة وأعمالهم، أكانوا مهتمّينَ بالتّصدير والمناظرة، والقضاءِ والوِلاية، وتولى الأوقاف والوصايا، ومال الأيتام، ومُخالطة السَّلاطين ومجاملتهم فى العِشرَةِ، أو فى الخوف والحزَن، والتفكر والمجاهدة، إلى غير ذلك من علوم الباطن.

واعلمْ يقينًا أنّ أعْلَمَ أهل الزَّمانِ أشبَهُهم بالصَّحابة وأعرَفُهم بطريقهم، فعنهم أُخذَ الدّينُ، قال على ﷺ: خيرُنا أتبعنا لهذا الدّين[٢]، وقال ابن مسعود: أنتم فى زمانٍ خيرُكم فيه المسارع فى الأُمور، وسيأتى بعدكم زمانٌ يكون خيرَكم المتثبِّتُ المتوقّف، لكثرة الشُّبهات[٣] وقال حذيفة ﷺ: أعجب من هذا أنَّ معروفكم اليوم منكرُ زمانٍ قد مضى، وأنَّ منكرَكم معروفُ زمانٍ قد يأتى، وأنكم لا تزالون بخيرٍ ما عرَفتم الحقّ، وكان العالِمُ فيكم غير مُستَخفٍّ به[٤].

قال الغزالى[٥] وقد صدق، فأكثرُ معروفات هذه الأعصارِ منكراتٌ فى عصر الصحابة إذ من غرَرِ المعروف فى زماننا تزيين المساجد، وإنفاق الأموال العظيمة فى عمارتها، وبسط البسط الرّفيعة فيها، ولقد كان يُعَدُّ فَرشُ البوارى

---

(١) أى الجمهور من الناس.

(٢) مسند البزار ٣/ ٩٧.

(٣) طبقات السبكى ٦/ ٣٨١، والإحياء ٤/ ٣٤٣.

(٤) مصنف ابن أبى شيبة ٧/ ٢١١، وتهذيب الكمال ١٩/ ٥٢٩. والزهد لابن أبى عاصم ١/ ١٦٩.

(٥) هو أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسىّ، حجّة الإسلام: فيلسوف، متصوف، كان كثير الرحلات، له نحو مائتى مصنف، مولده ووفاته فى الطابران (قصبة طوس، بخراسان) توفى فى سنة ٥٠٥هـ، الوافى بالوفيات ١/ ٢٧٧، وطبقات الشافعية

فى المسجد بدعةٌ، وقيل إنه من مُحدثات[١] الحجّاج[٢]، فقد كان الأوّلون قَلَّ ما يجعلون بينهم وبين التّراب حاجزًا.

ومن ذلك الاشتغال بدقائق الجدَل والمناظرة، ويعدّونه مِن أجلّ علوم الزَّمان، ويزعمون أنه من أعظم القُرُبات، وقد كان ذلك من المنكرات.

ومن ذلك التَّقَشُّفُ فى النَّظافة، والوِسواسُ فى الطَّهارة، وتقدير النَّجاسة البعيدةِ، فى نَجاسة الثّيابِ مع التَّساهُل فى حلّ الأطعمة وتحريمها.

ومن ذلك[٣] التَّلحين فى الأذان والقراءات، والتَّباهى بذلك إلى غير ذلك من النظائر، ولقد صدَقَ ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: أنتُمُ اليومَ فى زمانٍ، الهوى فيه تابعٌ للعلم، وسيأتى عليكم زمانٌ يكون العلمُ تابعًا للهوى[٤] وكان هشام يقول لا تسألوهم اليومَ عما أحدَثوا، فإنَّهم أعدُّوا له جوابًا، ولكن سلوهم عن السُّنَّة فإنَّهم لا يعرِفونها[٥] وقال الحافظ أبو الفرجِ ابنُ الجوزى[٦] فى كتابه: الأحاديث الموضوعة[٧] بعد ذكره لحديثٍ فى قراءة الفاتَحة وآيات منها: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ عقيبَ الصلاة، هذا حديثٌ موضوعٌ كنتُ

---

(١) أى من المُحدَثات المنكرة المعدّة قُربَةً.

(٢) هو أبو محمد، الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى: قائد، داهية، سفّاك، خطيب، ولد ونشأ فى الطائف، ثم ولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وكان سفّاكًا سفّاحًا فاتكًا باتفاق معظم المؤرخين، وأخباره كثيرة، مات بواسط (التى بناها هو بين الكوفة والبصرة) سنة ٩٥هـ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٩، والسير ٤/ ٣٤٣.

(٣) أى من المنكرات.

(٤) الزاهد الكبير ٢/ ١٦٥.

(٦) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى: علامة عصره فى التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته فى بغداد سنة ٥٩٧هـ، وفيات الأعيان ٣/ ١٤٠ والسير ٢١/ ٣٦٥، وطبقات الحفاظ ٥٠٢.

(٧) هو كتاب «الموضوعات» لابن الجوزى، وقد طبع بتحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان فى المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٦هـ، فى ثلاثة أجزاء.

سمعتُهُ فى زمن الصبى فاستعملتُه نحواً من ثلاثين سنةً لحسْن ظنّى بالرُّواة، فلما علمتُ أنه موضوع تركتُه، فقال لى قائل: أليس هو استعمالُ خيرٍ؟ فقلتُ: استعمالُ الخيرِ ينبغى أن يكون مشروعًا، فإذا علمنا أنَّه كَذِبٌ خَرج عن المشروعية. انتهى[(١)].

ومنها: أن تكون عنايتهما بتحصيل العلم النَّافعِ فى الآخرة، المرغّب فى الطَّاعة، مُتَجنِّبين العلومَ التى يَقلُّ نفعُها، وَيكثُرُ فيها الجدال، والقيل والقال، رُوِى أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: علّمنى من غَرائب العلم[(٢)]، فقال له رسول الله ﷺ: ما صَنَعْتَ فى رَأْسِ العلمِ؟ قال: وما رأس العلم؟ قال: هَلْ عَرَفْتَ الرَّبَّ؟ قال: نعم، قال: وَمَا صَنَعْتَ مِنْ حَقِّه؟ قال: ما شاء الله، قال: هَلْ عَرَفْتَ الْمَوْتَ؟ قال: نعم، قال: وَمَا أعْدَدْتَ لَهُ؟ قال: ما شاء الله، قال: اذْهَبْ فَأَحْكِمْ ثُمَّ تَعَالَ نعلمْك من غرائب العلم[(٣)]، وينبغى أن يكون التَّعليمُ من جنس ما رُوِى عن حاتم الأَصَمّ[(٤)] تلميذِ شقيق البلخى[(٥)] أنّ شقيقًا قال له: مُنْذ كم صحبتنى؟ قال حاتم: منذُ ثلاثة وثلاثين سنةً، فقال: ما تعلَّمتَ منى فى هذه الُمدّة؟ قال: ثمان مسائل فقال شقيق: إنَّا لله وإنَّا إِلَيْهِ

---

(١) لم نجده فى كتاب: «الموضوعات» لابن الجوزى، ولا فى كتابه: «العلل المتناهية» ولعله فى أحد كتبه الأخرى، وانظر حول هذا الحديث الموضوعات ١/ ٢٤٥ وتذكرة الموضوعات ٧٩، وكشف الخفاء ٢/ ١٠٦.

(٢) مسند الربيع بن حبيب البصرى ص ٣١١.

(٣) مسند الربيع بن حبيب البصرى ص ٣١١.

(٤) هو أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان، المعروف بالأصَمّ: زاهد، اشتهر بالورع والتقشف، له كلام مدوّن فى الزهد والحكم، من أهل بلخ، زار بغداد، واجتمع بأحمد بن حنبل، وشهد بعض معارك الفتوح، كان يقال: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة، مات بواشجرد سنة ٢٣٧هـ، تاريخ بغداد ٢/ ١٥٢، والأعلام ٢/ ١٥٢.

(٥) هو أبو على، شقيق بن إبراهيم بن على الأزدى البلخى: زاهد صوفى، من مشاهير المشايخ فى خراسان، وكان من كبار المجاهدين، استشهد فى غزوة كولان (بما وراء النهر) سنة ١٩٤هـ، حلية الأولياء ٨/ ٦٢، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢١ و ١٤٦.

راجعُونَ ذهب عُمُرى معك ولم تتعلَّمْ إلاَّ ثمان مسائل! فقال: يا أُستاذ لم أتعلَّمْ غيرَها، ولا أُحبُّ أن أكْذبَ، فقال: هات هذه الثمان مسائل حتى أسمعها، فذكرها، والقصَّة مشهورةٌ فى كثيرٍ من الكُتُب[1] وهى مُشتملةٌ، الأُولى علَى محبّة الحسنات، والثَّانية علَى مُدافَعة هوى النفس، والثَّالثة علَى الصدقة، والرّابعة علَى النسبة للتقوى، والخامسة علَىَ تَرْك الحسد، والسادسة علَى مُصادقة الخلق وعداوة الشَّيطان، والسَّابعة علىَ مُلازمة الطَّاعة وترْك الذُّلّ للخلق بسبب المعيشة، وترْك الحرام، والثامنة علَى التَّوكلِ علَىَ الله تعالى؛ فقال شقيق بعد ما قرأ حاتم الثمان مسائل: يا حاتم وفَّقك الله، إنى نظرْتُ فى علم التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان فرأيته يدور علَى هذه الثمان مسائل، اللّهم توفيقًا للعمل الصالح واجتنابًا للطالحّ.

ومنها: أن يكون اهتمامُه بعلم الباطن، ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه، وصدق الرَّجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة، فإنَّ المجاهدَةَ تفضى إلى المشاهدة فى دَقائق علوم القلب، وتَنفجر منه ينابيع الحِكَم الخارجة عن العدّ والحدّ من طريق مفتاح الإلهام، ومنبع الكشف لا بالكتب المدوَّنة، فكم من متعلّم طال تعلُّمه ولم يقدرْ علىَ مجاوزَة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصرٍ عَلى المهمّ فى التَّعلم فتحَ الله عليه من لطائف الحكم ما تحار فيه عقولُ ذوى الألْبَاب، ولذلك قال ﷺ: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[2]، وفى بعض الكتب[3] السَّالفة: يا بنى إسرائيل لا تقولوا: العلم فى السماء من ينزل به، ولا فى الأرض مَن يصعدُ به، ولا من وراء البحار مَن يأتى به، العلم محصورٌ فى قلوبكم، فتأدَّبوا بين يدَىّ تأدُّبَ الرُّوحانيين وتخلَّقوا إلىَّ تخلق الصدّيقينَ أُظهِر العلمَ من قلوبكم حتى يُغَطّيكُمْ ويُغْمِركم.

(١) انظر هذه القصة فى حلية الأولياء ٨/ ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) انظر كشف الخفاء ٢/ ٣٤٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٩د وفيض القدير ٤/ ٣٨٨.

(٣) فيض القدير ٤/ ٣٣٨.

ومنها: أن يبحثَ عما يُفسدُ الأعمال، ويشوش القلب، ويهيّج الوِسواسَ، ويُثيرُ الشرَّ، فإنَّ أصلَ الدّين التَّوقى من الشر، ولذلك قيل: اعرف الشّرّ لا للشرّ، لكن لتوقّيه، ومَن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه[١]، ورقيل لحذيفة رضي الله عنه: نراك تتكلم بكلام لا يُسمَع من غيرِك من الصحابة! فمن أين أخذته؟ قال: خصنى به رسول الله ﷺ: كان النَّاس يسألونَه عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشّرّ مَخافةَ أن أقع فيه، وعلمتُ أن الخيرَ لاَ يَسبقُنى، وقال مرةً، فعملتُ أنّ مَن لا يعرِفُ الشرَّ، لا يعرفُ الخيرَ، فكان عمرُ وعثمانُ وأكابرُ الصحابة يسألونه عن الفتن العامَّة والخاصة، وكان يُسْأَلُ عن المنافقين فيخبرُ بأعداد مَن بقى، ولا يُخبِرُ بأسمائهم، وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم بها شيئًا من النّفاق، فبرَّأهُ من ذلك، وكان ـ أعنى عمر رضي الله عنه ـ إذا دُعى إلى جَنازةٍ نَظَرَ، فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلاَّ تَركَ، وكان حذيفة رضي الله عنه يسمّى صاحبَ السرّ، بالسّين المهملة[٢].

ومنها: وهو من أعظم الأسباب المعينة علَى الاشتغال والفَهم وعدم الملالة، أكلُ القدْر اليسير من الحلال الذى لا شُبهة فيه، قال الشافعىُّ رضي الله عنه: ما شبعتُ منذُ ست عشرة[٣] سنةً، وسببُ ذلك أن كَثرةَ الأكل جالبةٌ لكثرَة الشّربِ، وهى جالبةٌ للنَّوم والبلادة، وفُتورِ الحواسّ والكسل، هذا مع ما فيه من الكراهة الشَّرعيَّة، والتعرُّض لخطر الأسقام البدنيَّة كما قيل (من الوافر):

---

(١) ـ أبجد العلوم ١/ ١٤٣

(٢) البخارى ٣/ ١٣١ و ٦/ ٢٥٩٥، ومسلم ٣/ ١٤٧٥، وانظر الاستيعاب ١/ ٣٢٤، وأسد الغابة ١/ ٣٩٠، والمستدرك ١/ ١٩٧، و ٢٠٩، ٤/ ٤٧٢ و ٤٧٨ و ٤٧٩، والسنن الكبرى ٨/ ١٥٦، والسير ٢/ ٣٦١، والإصابة ترجمة رقم ١٦٥٢ (٢/ ٣٩).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧٤، والحلية ٩/ ١٢٧، وجامع العلوم والحكم ١/ ٤٢٨، وتهذيب الأسماء ١/ ٧٥.

عدُوُّك من صديقك مستفادُ
فلا تستكثرنَّ من الصحابِ[١]
فإن الدَّاء أوَّل ما تراهُ
يكون من الطَّعام أو الشرابِ

وقد جمع بعض الحكماء فى كثرة الأكل خمسين آفةً، ونظمها مولانا وسيدنا وشيخنا شيخُ الإسلام والد المصنف[٢] رحمه الله وأبقى خلقه فقال: (من البسيط)

فى كثرة الأكل يا ذا العقل والنَّظر
خمسون آفَةٍ كُن منها علَى حذرِ
توليد سُقْمٍ وثقلٌ ثم طول كرًى
ووصمةُ النفس مع غمّ ومع بَطرِ
وقسوةٌ وعمى قلبٍ تُؤَثرُهُ
وهُزْلُ روح ونقص الخوف والحذَرِ
وقلة العقل مع جهل مكثّره
وقلة الشُّكر والإخلاص والخفَرِ
وشهوة تنمُو معْ ترك الحياء كذا
نسيان علمٍ وذكر الموت فى العمر
وحبّ دُنيا وشحٌّ والبقاء كذا
حبّ الشياطين فقد الصبّر مع ضَجَر

(١) البيتان لابن الرومى كما فى المثل السائر ١/ ٣١٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٤٦٥.
(٢) هو أبو الفضل، محمد بن محمد بن أحمد العامرى، رضىّ الدين الغزى: باحث، من علماء الشافعية، أصله من غزّة، ومولده ووفاته بدمشق ٩٣٥هـ، الكواكب السائرة ٢/ ٣، والأعلام ٧/ ٥٦.

وذمّ حكمـــةٍ أيضًـــا والعـــداوة مع
تهـيـــيج عـادة أشـــواقٍ مع الأشَـر
وبغض مـولاهُ مع هـدم العـبـادة مع
فـقـد البهـاء وحَـرْج الدين بالغـيَـر
والضحك أيضًا وإذهاب الحلاوة من
قلبٍ وإبـدال صـــفـــو منه بـالكدر
وترك ذكـرٍ وإذهاب اليـــقـين كـذا
تَرك افـتـقـار وآدابٍ لمـعـتـبِـر
وترك الأعـمالِ والإكثـار من حـسد
والبـعد مـن جنّة والقرب مـن سقـرِ
ثم التـغـفل ينمـو والفـضـول كـذا
وللشـيـاطين تسـليح على البـشـر
كذاك تفـريقُ صحبٍ وارتكابُ مـعا
صى الله جلّ وهـذا غـــاية الـخطر
وفى رسـائل إخـوان الصَّـفَـاء لهـا
شرحٌ بذا الحصـر وافٍ غير مخـتصر
وهاك فى هذه الأبـيـات جُـمْلَتُـــهـا
تلخَّـصت فـأتَتْ فى النَّظم كـالدُّرَرِ

ولبعضهم فى بعض فوائد الجوع (من الكامل):

فى الجوع عَشْرُ فوائدٍ عن حصرها
عَـجَـزَ البـيـانُ وباءَ بالتـقـصـيـر
من بعـضهـا كـسرُ الـهوى وبكسـره
فـوز الفـتى بعـوارف التـحـبـب

وصفا القلوبِ وحفظها فى سَيْرها
من علة التكدير والتَّأثير
وإدامةُ السَّهر الذى هو مقصدٌ
فى شَرع أهل الجدّ والتشمير
وسلامة الجسد الذى هو مركبٌ
للقصد من علٍ ومن تغيير
وهو المذكرُ بالفقير وحاله
ولرُبَّ خير جاء فى التذكير
وبه علَى الإيثار تحْصل مُكنةٌ
تبدو لطائفُها لكلّ بصير
وعلَى العبادة أى عون للفتى
فى ضمنه بل أيما تيسير
وبه انحسامُ مواد كلّ ضرُورةٍ
يأتى من الشيطان للتغرير
والمْرءُ ذُو مؤنٍ وفى تقليلهِ
طرْحٌ لِمَا يدْعو إلى التكثير
فأجِعْ فُؤَادَك للوَفا مُتعرّضًا
واسلك سبيل مُحقّقٍ وخبير
واعلم بأَنَّ الجوعَ فى شرع الوَلا
مفتاحُ بابِ الفتح عن تحرير

والأَوْلَى أن يكون ما يأخذُهُ من الطَّعام والشَّراب ما ورد: بحسْب ابن آدم

لقيمـاتٌ يقمنَ صُلبَهُ فإن كـان لا محالةَ، فثلثٌ لطعامـه، وثُلُثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسه[١]، وأما زيادته علَى ذلك فـهى من الإسراف، وقد قـال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١) قال بعض العلماء: جـمع الله بهذه الكلمات الطِّبَّ كلَّه[٢].

ومنها: أن يقلّلَ استعمالَ المطاعم[٣] التى هى من أسبـاب البلادة، وضَعف الحواسّ كالتفّاح الحامض، والباقلا، وشُرب الخلّ، وكذلك ما يُكثر استعماله البلغمَ المثقل للبدن، المبلد للذّهن ككثرة الألبان والسَّمك وأشباه ذلك.

وينبغىٰ أن يسـتعمل ما جـعله الله تعالى سببًا لجودة الذّهن كمـضغ اللّبان والمصطكى علَى حـسب العادة، وأكل الزَّبيبِ بُكرةً والجلّاب ونحـو ذلك مما ليس هذا موضع شرحه[٤].

وينبغى أن يجتنب ما يولد النسيان بالخاصيّة كأكل سؤْر الفأر، وقراءةِ ألواح القبـور، والدُّخول بين جـملين مقطورين، والشّقّ بين الغنم والمـعز، وليـقرأ سورة «إيلافِ قُـرَيْشٍ» إذا دخل فى الشياه لقـوله تعالى: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤) وإلقاء القمل ونـحو ذلك من المجرَّبات، ونحو ذلـك من المحذرات الواردة، وللحافظ البرهان الناجى[٥] فى ذلك كتاب (قلائد العقـيان فيما يورث

(١) موارد الظمـآن ١/ ٣٢٨، جامع العلوم والـحكم ١/ ٤٢٤ و ٤٢٨ وفيض القـدير ٥/ ٤٠٧، وكشف الخفاء ٢/ ٢٦٠، وتفسير القرطبى ٧/ ١٩٢.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٥، تفسير القرطبى ٧/ ١٩٢.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٧.

(٥) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محـمد بن محمود بن بدر، برهان الدين، الحلبى القُيْبَاتى الشافعى الناجى: واعظ، عارف بالحديث، قال السـخاوىّ: «ممن وعظ وحذر وأنذر وخطب وصدع وروى وأسمع، ولم يكن يخـاف فى الله لومة لائم، مع انجماعـة عن بنى الدنيا، وتقنّعه باليـسير...» وسبب شهرته بالناجـى، فقيل لأنّه كان حنبليًا وتحول شافـعيًا؟! توفى سنة ٩٠٠هـ، ودفن فى مقبرة القُبَيْبَات.

(٦) ... التام على دول الإسلام ٣/ ٢٧٣ ... ٩ ... ٥٥

الفقرَ والنسيان)[١] جمع فيه فأوعى، وقد اختصره المرحومُ شيخنا الرضى والد المصنف شيخُ الإسلام فى أرجوزة سماها (نظم القلائد[٢]).

ومنها: أن يقلّلَ نَومهَ ما لم[٣] يلحقه ضرر فى بدنه وذهنه، ولا يزيد فى نومه فى اليوم والليلة علَى ثمان ساعات، وهو ثلثُ الزَّمان، فإن احتمل حالُه أقلّ منها فَعَلَ، ولا بأْس أن يُريحَ نفسه وقلبَه وذهنه وبصرَه إذا كلَّ باستراحة وتنزه وتفرّج فى المستنزهات بحيث يعود إلى حاله، ولا يُضيع عليه زمانه، ولا بأْس بمعاناة المشى، ورياضة البدن[٤] به، فقد قيل: إنه ينعش الحرارةَ، ويُذيبُ فضول الأخلاط، وينشط البدن، ولا بأْس بالوَطْءِ الحلال إذا احتاج إليه، فقد قال الأطباء: إنه يُخفّفُ الفضول، وينشط ويصفى الذّهن إذا كان عند الحاجة إليه باعتدال، ويحذر كثرَته كلّ الحذر، فإنه يُضعفُ السمعَ والبصرَ والعصبَ والحرارةَ والهضم، ويحدثُ غيرَ ذلك من الأمراض المُرْدية، وهو كما قيل: ماءُ الحياةِ يصبُّ فى الأرحام[٥].

ومنها: أدعيةٌ وفوائدُ وردت يُستعان بها علَى حفظ القرآنِ والعلم، فينبغى مراعاتُها، وإن كان غالبُها ضعيفًا[٦] عن ابن عبَّاس مرفوعًا[٧]: من سرّه أن يودعه

---

(١) قال حاجى خليفة فى كشف الظنون ٢/ ١٣٥٤: (مختصر أوله: الحمد لله الذى علمنا ما لم نكن نعلم...).

(٢) فى كشف الظنون ٢/ ١٣٥٤ (نظمه الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الغزى فى بحر الرجز أوله: الحمد لله الذى علمنا... إلخ).
وذكر أنه جمعها منتظمًا.

(٣) تذ ة السامع والمتكلم ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٠.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٨١.

(٦) انظر تذكرة الموضوعات ٥٦ ـ ٥٧، وكنز العمال ٢/ ٥٨ ـ ٦١.

(٧) الحديث المرفوع هو ما أضيف إلى النبى ﷺ خاصة من قول أو فعل أو تقرير سواء أكان متصلاً أم منقطعًا، وقال الخطيب: (هو ما أخبر به الصحابى خاصة من قول النبى ﷺ، أو فعله). الباعث الحثيث ٢٤، والمنهل الروى ٤٠.

الله عزَّ وجلَّ القرآن وحفظَ أصناف العلوم فلْيكتب هذا الدُّعاء فى إناء نظيف، أو فى صحفة قوارير بعسل وزعفران وماء مطرٍ، ويَشربُهُ علَى الرِّيق، ولْيَصُم ثلاثةَ أيام، وليكُن إفطارُهُ عليه، ويدعو به فى أدبار الصلوات المكتوبة. اللّهم إنى أسألك بأنك مسئولٌ لم يُسأَل مثلك، أسألك بحقّ محمد ﷺ رسولك ونبيّكَ، وإبراهيم خليلكَ وصفيّك، وموسى كليمك ونجيّك، وعيسى كلمتك ورُوحك، وأسألك بصحف إبراهيم وتوراة موسى، وزبورِ داود، وإنجيل عيسى، وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين، وأسالك بكلّ وحيٍ أوْحيتَه، وبكلّ حقٍّ قضيته، وبكل سائلٍ أعطيتَه، وأسألك بأسمائكَ التى دَعا بها أنبياؤُك فاستجبتَ لهم، وأسألك باسمك المخزون المطهّر، الطّاهر المبارك المقدس، الحىّ القيّوم ذى الجلال والإكرام، وأسألك بأسمائك: الواحد الأحد الصّمد الفرد الوتر، الذى ملأَ الأركان كلّها، وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فقامت وأسألك باسمك الذى وضعته علَى الأرضين فُاستوت، وأسألك بُاسمك الذى وضعته علَى الجبال فرست، وأسألك باسمك الذى وضعته علَى النهار فاستنار، وأسألك باسمك الذى تحيى بِهِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيم، وأسألكَ بكتابك المنزل بالحقّ، ونورك التامّ: أن ترْزقنى حفظَ القرآن، وحفظَ أصناف العلوم، وتَبْثّها فى قلبى وأن تستعمل بها بدنى فى ليلى ونهارى أبدًا ما أبقيتنى يا أرحم الرّاحمين[1]، ورُوى عن بكر بن خُنَيْس[2] قال: مَنْ أحبّ أن يقرأ القرآن، ولا ينسى منه شيئًا بإذن الله عزّ وجلّ فليقل: اللهم افتح علينا

---

(١) انظر هذا القول بتمامه فى تذكرة الموضوعات ص ٥٧، وهو عن ابن مسعود.

(٢) هو بكر بن خُنَيْس الكوفى العابد، نزيل بغداد: محدث كان يروى كل منكر، وكان رجلاً صالحًا غزّاء، وليس بقوىّ فى الحديث، قيل: كان يوصف بالعبادة والزهد، ويحدّث بأحاديث مناكير عن قوم لاباس بهم، وحديثه فى جُملة حديث الضعفاء، وليس ممن يحتج بحديثه، توفى نحو سنة ١٧٠هـ. تاريخ بغداد ٧/ ٨٨، وتهذيب الكمال ٤/ ٢٠٨.

رحمتك، وانشر علينا رحمتك، وعن سُنَيد[١] قال: مَن أحب أن لا ينسى شيئًا فليقل: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢) وقال بعض الصالحين: إذا قرأتَ شيئًا ثمّ قمتَ عنهُ فقُل: اللهمّ إنى أستودِعكَ ما قرأتُه فارْدُدْهُ علىَّ وقتَ حاجتى إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[٢].

وغسل الرَّأس يزيدُ فى الحفظ، وتركه ينقص من الحفظ، ومن أراد أن يحفظَ العلم فعليه بخمس خِصال: صلاة الليل ولو ركعتين، والدَّوام علَى الوُضوء، والتقوى فى السرّ والعلانية، وأن ينوى بأكله القوَّةَ علَى الطاعة، والسّواك فى كلّ صلاة وعند تغيّر الفم، ومن كتب آيةَ الكرسى فى كفّه اليسرى بيده اليمنى سبع مرّاتٍ بزعفران فى كلّ مرّة يلحسها بلسانه لم ينس شيئًا أبدًا، ومن قال أربعين مرّةً مساءً: اللهمّ اجعل نفسى نفسًا طيبةً طائعةً حافظةً تؤْمنُ بلقائك وتقنع بعطائك، وترضى بقضائك لم ينسَ شيئًا أبدًا، ومن قال عند رفع ما يقرأه سبحان الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلاّ اللهُ والله أكبرُ ولا حول ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العلىّ العظيم عددَ كلّ حرف كُتب ويكتب أبدَ الآبدين، ودهرَ الدَّاهرين، فإنه لا ينسى منه شيئًا أبدًا، ومما يفيدُ للحفظ قولك عقبَ كلّ صلاة: آمَنتُ بالله الواحد الأحد، الحقّ المبين لا شريك له وكفرتُ بما سواه. انتهى.

---

(١) هو: أبو على المحتسب، سُنَيْد، واسمه: الحسين بن داود المصِّيصىّ: الإمام الحافظ، محدِّث الثغر، صاحب التفسير الكبير، قال ابن ناصر الدين: «أحد أوعية العلم والأثر، تكلم فيه أحمد وغيره، ووثقه ابن حبَّان والخطيب البغدادى». توفى فى سنة ٢٢٦هـ. السير ١٠/ ٦٢٧، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٤٤، وطبقات الحفاظ ٢٢٤.

(٢) وتقدم إذا قرأ كل يوم سبعًا من القرآن لم ينسه أبدًا، وذكر ابن الحاج فى مدخله: أن من قرأ ما يحفظه فى صلاته لم ينسه أبدًا.

القسم الثانى

آدابهما فى درسهما واشتغالهما[١]

فمنها: أن لا يزال كلٌّ منهما مُجتهدًا فى الاشتغال قراءةً ومطالعةً وتعليقًا ومباحثةً ومذاكرةً وفكرًا وحفظًا وإقراءً وتصنيفًا إن تأهل لهما، ووظائفِ الأوراد فى كل الأحوال.

ومنها: أن لا يخلَّ بوظيفته من حضور درسٍ ومذاكرة وقراءة ونحوها ولو لعروض مرضٍ خفيفٍ، أو ألم لطيفٍ، وليستشفِ بالعلم وليشتغل بقدر الإمكان كما قيل (من البسيط):

إذا مَرِضنا تداوَينا بذِكركمُ
ونَترُكُ الذِّكر أحْيانًا فننتكسُ[٢]

هذا والحكاياتُ عن السَّلف فى ارتكابهم الأهوالَ فى طَلَبِ العلم مشهورةٌ، مُدوَّنةٌ فى كُتُب التَّواريخ والسِّيَرِ ومَسطورة[٣].

حكى الإمامُ عبدُ الحميدِ بنُ عيسى الخُسْرُوشاهى[٤] تلميذُ الإمام فخرِ الدِّين

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٦ ـ ٢٧

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٧.

(٣) انظر فتح البارى ١/ ١٥٩، والبداية والنهاية ٩/ ١٠٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨، والمنهج الأحمد ١/ ٨١، وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٣، وانظر أيضًا تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٧ و ٧٨٩ و ٩٧٣، ٣/ ١٠٣٢.

(٤) هو أبو محمد، عبد الحميد بن عيسى بن عمُّويه بن يونس، شمس الدين، الخُسْرُوشَاهِى: من علماء الكلام، نسبته إلى خسروشاه (من قرى تبريز) ومولده فيها، تقدّم فى علم الأصول والعقليات والفقه، وأقام فى دمشق والكرك، وتوفى فى دمشق سنة ٦٥٢هـ النجوم الزاهرة ٧/ ٣٢، وشذرات الذهب.

الرّازى[١] عن جلالة الإمام واجتهاد طلبته[٢]: أنه صحبَ طلبةَ الإمام فى ثلج أبيض، ونَوْءٌ باتَ ياسَمِينُهُ علَى الأرض يُنْفَض، والثلجُ قد أبطلَ كلّ حركة. وكيف لا وهو بلا شكّ كافور، والسَّحائب عمّ عطاؤُها فى البلد، فيساوى بين مستفل الأرض وشُرُفات السُّور، وهمَّتهم مع ذلك لم تُخمَدْ نيرانُها، ولم تفتُرْ عن سَماع كلام الإمام آذانُها، وإن عامت الأرضُ لكَثرَة الماء، وعمَّت الجدرانَ سحائبُ السماء، وأبَتْ همتهم: أن تُبْطِلَ فوائدَ الإمام، ولو بطلت منهم الحواسُّ الخمس، ونفوسهم أن تغيبَ عن كلماته وإن غابت تحت الغمام عينُ الشمس، ووضعوا علَى رءُوسهم كساءً يمنع وصولَ المطر، وفتحوا المحصول[٣] وشَرَعَ واحدٌ يقرأ ثمَّ واحدٌ، والإمامُ لا يُدْنى رأسَه من الكوّة إلا لمن يرتضيه، فمنهم من يجيبه، ومنهم مَن يقرأ إلى آخر درسه والإمامُ لا يلتفت إليه، ولا ينظرُ فيه، تمرينًا منه رحمه اللهُ لهم علَى الآداب، وتعريفًا لمقدار العلم، وإن اقتحمَ ذُو العزيمة الأهوال وظن أن همتَه تعلو علَى السَّحاب

ومنها: أن يجتهدَ أن لا يحضر مجلسَ الدّرسِ إلاَّ مُتطهّرًا من الحدَث والخبثِ ومطيبًا بدنَه وثوبَه، قاصدًا بذلك تعظيمَ العلم، وتَبجيلَ الشَّريعة، وإن كان فى مسجد نوى فى ابتداء جُلوسه الاعتكاف.

ومنها: أن لا يسألَ أحدًا تعنُّتًا وتعجُّزًا فإنهُ لا يستحقُّ جوابًا، وسيأتى النّهى عن ذلك.

---

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى، فخر الدين الرازى: الإمام المفسِّر، أو حد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشى النسب، أصله من طبرستان، ومولده فى الرىّ وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفى فى هراة سنة ٦٠٦هـ، وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظًا بارعًا فى اللغتين العربية والفا . وقد أقبل الناس على كتبه فى حياته يتدارسونها، الوافى ٤/ ٢٤٨، وطبقات الشافعية ٨/ ١٦١.

(٢) طبقات السبكى ٨/ ١٦٢.

ى كت المحصول فى علم الأصول، لفخر الدين الرازى. وهو مطبوع.

ومنها: أن يتصوَّرَ ويتأمَّلَ ويُهذّبَ ما يريدُ أن يورِدَهُ، أو يُقرّرَه أو يُسألَ عنه قبلَ إبرازه والتفوُّهِ به، ليأمنَ من صدُورِ هفوةٍ، أو زَلةٍ، أو وَهمٍ، أو انعكاسِ فَهم، لا سيما إن كان هُناك مَن يخشى منه أن يصيرَ ذلك عليه وصمةً، ويجعله عند نُظرائه ومَن يحسدُه وسْمةً، واللهُ هو الموفّقُ، وَهُوَ اللَّطيفُ الخبير.

ومنها: أن لا يستنكفَ من التَّعلُّم والاستفادة[١] ممن هو دونه فى منصبٍ أو سنٍّ أو نسبٍ، أو شهرةٍ أو دِينٍ، أو فى علم آخر، بل يحرِص علَى الفائدة ممَّن كانت عندَهُ، فقد كان كثيرٌ من السَّلف يستفيدون من تلاميذهم ما ليس عندهم، قال الحميدى[٢] وهو تلميذُ الشافعى: صحبتُ الشافعىّ من مكةَ إلى مصرَ فكنتُ أستفيدُ منه المسائل، وكان يستفيد منى الحديث[٣] وقال أحمد بنُ حنبل: قال لنا الشافعى: أنتم أعلمُ بالحديث منى، فإذا صحّ عندكم الحديثُ فقولوا لى حتى آخذ به[٤]، وقد ثَبتَ فى الصَّحيحين[٥] وغيرهما روايةُ جماعة من الصحابة عن التابعين وروى جماعاتٌ من التابعين عن تابع التابعين، وهذا عمرو بن شعيب[٦] ليس تابعيًا، وقد روى عنه أكثرُ من سبعين من التابعين، وأبلغ من هذا ما ثبتَ فى الصحيحين[٧] من أنّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى ١/ ٢١١ فما بعد، وتذكرة السامع ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) هو أبو بكر، عبد الله بن الزُّبَيْر الحُمَيْدىّ الأسدىّ: أحد الأئمة فى الحديث، من أهل مكة، رحل منها مع الإمام الشافعى إلى مصر، ولزمه إلى أن مات، فعاد إلى مكة يفتى بها، وهو شيخ البخارى، ورئيس أصحاب ابن عُيَينة، توفى بمكة سنة ٢١٩هـ، السير ١٠/ ٦١٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٣١ وطبقات الحفّاظ ٢٠٠.

(٣) تذكرة السامع ٢٩.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ١٠٦، وتذكرة السامع ص ٢٩.

(٥) تدريب الراوى ٢/ ٢٤٥ و ٣٨٨ و٣٨٦.

(٦) هو إبراهيم،عمرو بن شعيب بن محمد السَّهْمى القرشىّ: من رجال الحديث، كان يسكن مكة، وتوفى بالطائف سنة ١١٨هـ، تهذيب التهذيب ٨/ ٤٨، والأعلام ٥/ ٧٩.

(٧) صحيح البخارى حديث ٤٦٧٦ و ٤٦٧٧ فى التفسير، ومسلم رقم ٧٩٩ فى صلاة المسافرين.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البيِّنة: ١) علَى أُبَيّ بن كعب[١] رضي الله عنه، وقال: أمرنى الله أن أقرأ عليك[٢]، هذا وقد استنبط العلماءُ من هذا الحديث فوائد[٣]:

الأُولى: بيان التواضع من الفاضل بقراءته علَى المفضول، قال ﷺ: الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا الْتَقَطَهَا، وفى رواية: فهو أحقُّ بها[٤] وقال سعيد بن جُبير[٥]: لا يزال الرَّجلُ عالمًا ما تعلَّم، فإذَا ترك التعلُّمَ وظنّ أنه قد استغنى واكتفى بما عنده، فهو أجهلُ ما يكون، وأنشد بعضهم: [من الطويل]

وليس العمى طول السؤَال وإنما
تمام العمى طول السكوت علَى الجهل[٦]

الثانية: أن لا يستحى من السؤَال عما لا يعلم وعن مُجاهد: لا يتعلَّم العلمَ مُستحٍ ولا مستكبرٌ[٧].

(١) هو أبو المنذر، أبَيّ بن كعب بن قيس النّجارى الخزرجى: صحابى أنصارى، كان قبل الإسلام حَبْرًا من أحبار اليهود، مطّلعًا على الكتب القديمة، ولما أسلم كان من كتّاب الوحى، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، وكان يفتى على عهده، وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك فى جمعه، مات بالمدينة ٢١هـ، الإصابة ١/ ٢٦، وغاية النهاية ١/ ٣١.

(٢) رواه البخارى رقم ٤٦٧٦ فى التفسير، ومسلم ١/ ٧٩٩، والمستدرك ٢/ ٢٤٤، والترمذى ٥/ ٦٦٥ و ٧١١، والسنن الكبرى ٥/ ٢٨.

(٣) فتح البارى ٨/ ٧٢٥، وشرح النووى على صحيح مسلم ٦/ ٨٥ و ١٦/ ٢٠.

(٤) الترمذى ٥/ ٥١، وابن ماجه ٢/ ١٣٩٥، ومسند الشهاب ١/ ١١٨، وتذكرة السامع ٢٩، وشرح سنن ابن ماجه ١/ ٣٠٧.

(٥) هو أبو عبد الله، سعيد بن جبير الأسدى، بالولاء، الكوفى: تابعىّ، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشىّ الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، وخرج ابن الأشعث على بنى أمية، وكان معه سعيد، إلى أن قتل ابن الأشعث، فذهب سعيد إلى مكة، ثم قبض عليه، وقتله الحجاج بواسط سنة ٩٥هـ، قال أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدًا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

وفيات الأعيان ٢/ ٣٧١، والسير ٤/ ٣٢٢ وانظر قوله فى تذكرة السامع والمتكلم ٢٨.

(٦) جامع بيان العلم ١/ ٣٨٠، وفيه: قال أبو عمر: كان الأصمعى ينشد: شفاء العمى...، وتذكرة السامع ٢٨. ومحاضرات الأدباء ١/ ٤٩.

(٧) ذكره البخارى تعليقًا ـ كتاب العلم، باب الحياء فى العلم، قال: وقال مجاهد: «لا يتعلم =

الثالثة: الانقياد إلى الحقّ بالرُّجوع عند الهفوة، فالرُّجوع إلى الحقّ خير من التمادى فى الباطل.

الرابعة: تركُ المِراء والجدال، وجعل الأخبار الواردة فى ذلك نصب عينيه، عن مُعاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ[1] الجَنَّة، وببيْت فِى وسَطِ الْجَنَّة، وَبَيْت فِى أَعْلاَ الجنَّة، لِمَنْ تَرَكَ الْمِراءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَتَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ»[2]، والأخبار فى ذلك كثيرة والله أعلم.

= العلم...» وهو عند أبى نعيم موصولاً ٣/٢٨٧، والدارمى فى سننه ١/ ١١٢، وانظر أيضًا فتح البارى ١/ ٢٢٩، وجامع بيان العلم ١/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦.

(١) ربض المدينة: ما حولها من العمارة.

(٢) صحيح ابن حبان ١٠/ ٤٧٩، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٩ و ٨١، وفتح البارى ١٣/ ١٨١، وفيض القدير ٥/ ٥، وموارد الظمآن ١/ ٣٨٢، وأبو داود رقم ٤٨٠٠ فى الأدب، وجامع الأصول ١١/ ٧٣٤، والمعجم الأوسط ١/ ٢٦٩ و ٥/ ٦٨ و ٢٨٥، ومجموعة رسائل فى الحديث ١/ ٤٥، والترغيب والترهيب ١/ ٧٨ و ٢/ ١٨٤ و ٣/ ٢٧٣ وهو حديث حسن، رواه أبو داود فى سننه وانظر سلسلة الضعيفة ١٣٥، والصحيحة ٢٧٣، وصحيح الجامع الصغير ١/ ٣٠٦.

النوع الثانى

آداب يختص بها المعلم، وقد يشاركه فى بعضها المتعلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا﴾ (البقرة: ١٥٩) وفى الصحيح: ليبلغِ الشاهدُ الغائبَ[١]، ويتعين على طالب العلم أن لا ينتصب للتدريس حتى تكمل أهليته، واعلم أن آدابه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

آدابه فى نفسه، وآدابه مع طلبته، وآدابه فى درسه.

القسم الأول

آدابه فى نفسه[٢]. وتقدم منها جملة فى الآداب المشتركة.

ونذكر هنا ما يختص بها غالبًا

فمنها: أنه يتعين علَى طالب العلم أن لا ينتصب للتدريس حتى تكمل أهليته ويشهد له به صلحاءُ مشايخه، ففى الخبر الصحيح[٣]: المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ كلابسِ ثوبَى زُورٍ، وقال الشِّبْلىّ: من تصدّر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه[٤]، وعن أبى حنيفة: من طلب الرّئاسة فى غير حينه لم يزل فى[٥] ذل ما بقى.

---

(١) حديث صحيح، رواه البخارى ١٧٤١، ومسلم ١٦٧٨، والنسائى فى الكبرى، وأحمد ٥/ ٤٩، وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٥٠، دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٥٣٩، وجامع بيان العلم / ١٨٢ ـ ١٨٤.

(٢) انظر هذا الباب فى تذكرة السامع والمتكلم ٤٤ ـ ٤٥.

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد فى المسند، من سماء بنت أبى بكر، ورواه مسلم عن عائشة (مختصر مسلم ١٣٨٧) وانظر أيضًا: صحيح الجامع الصغير ٦٦٧٥.

(٤) تذكرة السامع ٤٥، وشعب الإيمان ٦/ ٣٠٤، وفيض القدير ١/ ١٥٥ و ٦/ ٢٦٠.

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١/ ٣٢١.

ولبعضهم[١]: (من الطويل):

تصـدّر للتـدريس كلّ مُـهـوّس
جهولٍ تسمى بالفـقيه المدرّسِ[٢]
فـحقّ لأهـل العلم أن يتـمـثلوا
ببيـت قديم شاع فى كلّ مـجلسِ
لقـد هزُلت حتى بدا من هزالهـا
كُلاها وحـتى استامهـا كلّ مفلسِ

ومنها: أن لا يطلب علَى تعليمه أجرًا، ولا يقصد به جزاءً ولاَ شُكورًا، قال تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الأنعام: ٩٠).

ومنها: أن لا يذلَّ العلم، ولا يذهب به إلى مكان ينسب إلى من يتـعلّمه منه وإن كان الـمتعـلمُ كبـير القـدْر، بل يصون العلم عن ذلك كـما صـانه السَّلفُ وأخبارهم فى هذا كـثيرة مشهورة مع الخلفاء وغـيرهم، قال الزُّهرى[٣]: هوان العلم أن يحمله العالم إلى بيت المتعلم[٤]، فإن دعت ضرورةٌ، وحَسُنت فيه نية صالحةٌ فـلا بأس، وعليه يُحمل ما جاءَ عن بعـض السَّلف من ذلك، وقد أجاد القاضى علىّ بن عبد العزيز الجرجانى[٥] فى معنى ذلك (من الطويل):

(١) الأبيات لعلى بن أحمد بن على بن سلك أبو الحسن المؤدب المعروف الفالىّ، انظرها فى المنتظم ١٦/ ١٠، والبـداية والنهاية ١٢/ ٧٠، والكامل لابن الأثيـر ٨/ ٣٣٥، والاستـقصـا بأخـبار دول المغرب الأقصى ١/ ١١٠ وانظر تذكرة السامع ٤٦.

(٢) انظر الأبيات فى مراجع الحاشية السابقة.

(٣) أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى، القرشى: أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفّاظ والفقـهاء، تابعى، من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بهـا، مات بشَغْب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤هـ، وفيات الأعيان ٤/ ١٧٧، والسير ٥/ ٣٢٦.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى ١/ ٥٨٢، وتذكرة السامع ١٦.

(٥) هو أبو الحسن، على بن عـبد العزيز بن الحسـن الجُرْجانى: قـاضٍ، من العلماء بالأدب، كثـير الرحلات، له شعر جيد، وكان خطّه يشبّه بخطّ ابن مقلة، ولد بجرجان وولى قضاءها، ثم قضاء الرّىّ، فقضاء القضاة، وتوفى بنيسابور سنة ٣٩٢هـ وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٨، والسير.

يقولون لى فيك انقباضٌ وإنما
رأوْا رجلاً عن موقف الذُّلّ أحجما[1]
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزّةُ النفس أُكرما
وما كلّ برقٍ لاح لى يستفزُّنى
ولا كلّ من لاقيت أرضاه مُنْعما
وإنى إذا ما فاتنى الأمرُ لم أبِتْ
أُقلِّبُ كفىّ إثره مُتندّما
ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلما
بدا طمعٌ صيّرته لىَ سُلَّما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكنّ نفسَ الحرّ تحتملُ الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى
لأخدُمَ من لاقيتُ لكن لأُخدَما
أأشقى به غَرسًا وأجنيه ذلةً
إذن فاتّباعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهلَ العلم صانوه صانَهم
ولو عظّموه فى النُّفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنَّسوا
مُحيَّاهُ بالأطماع حتى تَجَهَّما

(١) شرح المضنون به على غير أهله ص ٧ ـ ١٥، وهى قصيدة من عيون الشعر العربى، يتيمة الدهر ٣/٤ ـ ٢٦، والجامع لأخلاق الراوى ١/ ٥٨٥، وطبقات السبكى ٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١، وأدب الدنيا والدين ٩٢.

ومنها: وقد مرّ معناه أن يكون عاملاً بعلمه غير مناقض فعلُه قولَه ولذلك قيل (من الكامل):

لا تنهَ عن خلق وتأتيَ مثلَه
عار عليك إذا فعلتَ عظيمٌ[١]

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٤).

قال عليٌّ رضي الله عنه: قصم ظهرى عالمٌ متهتكٌ، وجاهلٌ متنسكٌ، فالجاهل يغشّ الناسَ بتنسكه، والعالم ينفّرُهم بتهتكه، ولبعضهم فى معنى ذلك (من الكامل):

فسادٌ كبيرٌ عالم متهتك
وأكبر منه جاهل متنسك[٢]
هما فتنةٌ للعالمين عظيمةٌ
لمن بهما فى دينه يتمسك

ومنها: أن يستحضر فى ذهنه كون التعليمُ آكدَ العبادات ليكون ذلك حاثًا له علَى النية الصالحةِ، والنفع العامّ للطلبة، ولا ينبغى أن يمتنع من تعليم أحدٍ لكونه غيرِ صحيح النية[٣]، فالامتناع من تعليمهم يؤدّى إلى تفويت كثير من العلم مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحُهما إذا أنس بالعلم، وقد قالوا: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاّ لله[٤]، معناه: كانت عاقبته أن صار لله.

---

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى، وهو فى ديوانه ص ١٦٥.
(٢) تعليم المتعلم للزرنوجى ص ٣٦، وهو بلا نسبة.
(٣) تذكرة السامع ٤٧.
(٤) تذكرة السامع ٤٧.

القسم الثانى

آداب المعلم مع طلبته[١]

فمن ذلك إذا لمح فى المتعلم خيراً، وآنس فيه رُشداً، ينبغى له أن يؤدّبه علَى التدريج بالآداب السّنيَّة، والشّيم المرضيّة، والدَّقائق الخفية، ويعوّده الصّيانةَ فى جميع أُموره: الكامنة والجلية، فيحرّضه بالأقوال والأفعال علَى الإخلاص والصدق وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى فى جميع اللحظات، وأن يداوم علَى ذلك حتى الممات، ويعرفه أن بذلك تنفتح عليه أبواب المعارف، وتتفجر من قلبه ينابيع الحكمة واللطائف، ويوفق للإصابة فى قوله وفعله.

ومن ذلك أن يرغبه فى العلم[٢]، ويذكّره بفضائله وفضائل العلماء، وأنهم ورثةُ الأنبياء، وأنهم علَى منابرَ من نورٍ يغبطهم الأنبياء والشهداء، ونحو ذلك مما ورد فى فضل[٣] العلم والعلماء من الآيات والأخبار، والآثارِ والأشعار، ويرغبه مع ذلك بتدريج علَى ما يعين علَى تحصيله من الاقتصار علَى الميسور، وقدر الكفاية من الدُّنيا، والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلق بها، وتفريق الهم بسببها.

ومن ذلك أن يحب له ما يحب لنفسه[٤]، ويكره له ما يكره لنفسه من الشرّ، ففى الصحيحين: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحِبَّ لأَخيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه»[٥]

---

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم، وهو الفصل الثالث فيه، وعنوانه فيه: «فى أدب العالم مع طلبته مطلقًا فى حلقته».

(٢) تذكرة السامع ٤٨.

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ ١/ ٦٣، ٩٩، ١٣٣، ١٤٩. (٤) تذكرة السامع ٤٩.

(٥) حديث صحيح رواه البخارى ١/ ١٤ حديث رقم ١٣، ومسلم ١/ ٦٧ و ٦٨، وابن حبان ١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١، والترمذى ٤/ ٦٦٧، و ٥/ ٨٠، والنسائى ٨/ ١٢٥ و ١١٥، وتحفة الأحوذى ٦/ ٦٢ و٧/ ١٨٤ و ٨/ ٦، وفتح البارى ١/ ١٣٨ و ٢٨٣، وشعب الإيمان ٣/ ٢٦١، وفيض القدير ١/ ١٧٦، ٢/ ٣٦٢، ٣/ ٢١٧ و ٣٩١ و ٤/ ٢٦.

وعن ابن عباس ﷺ: أكرَمُ الناسِ علىَّ جليسى الذى يتخطّى الناس حتى يجلِسَ إِلىَّ، لو استطعتُ أن لا يقعَ الذُّبابُ عليه لفعلتُ[١] ويعتنى بمصالحه[٢] كاعتنائه بمصالح نفسه وولده، ويجعله كولده فى الشفقة عليه، والاهتمام بمصالحه.

وربما[٣] وقع منه نقصٌ وسوء أدب فى بعض الأحيان، فيبسط له عذرَهُ بحسب الإمكان، وينبهه علَى ما صدر منه بنصح وتلطُّف، لا بتعنيف وتعسُّف، قاصداً بذلك حسن تربيته، وتحسين خُلقه، وإصلاح طويته.

ومن ذلك أن يزجره[٤] عن سوء الأخلاق، وارتكاب المحرمات، والمكروهات أو ما يؤدّى إلى فساد حال، أو ترك اشتغال، أو إساءة أدب، أو عِشرة مَن لا يليق، ونحو ذلك بطريق التعريض والتلويح، لا بطريق التصريح، وبطريق الرّحمة لا بطريق التوبيخ والنقمة، فإن التصريح يرفع حجاب الهيبة، ويورِثُ الجرأةَ علَى الهجوم بالخلاف، ويهيّج الحرصَ علَى الإصرار وينبهك علَى هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (البقرة: ٣٥، ٣٦) وفى سورة طه ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ (طه: ١٢١) وقد ورد: لو مُنِعَ النَّاسُ عن فتِّ البَعَرِ لفتوه، وقالوا: ما نُهينا عنه إلاَّ وفيه شىء[٥] ولبعضهم (من الكامل):

النفس تهوى من يجورُ ويعتدى
والنفس مائلةٌ إلى الممنوع

---

(١) تذكرة السامع ٤٩، وبعده: «وفى رواية: إنّ الذباب ليقع عليه فيؤذينى»، وانظر شعب الإيمان ٨٦/٧.

(٢) تذكرة السامع ٤٩، وأبجد العلوم ٢٤٩/١ وكشف الظنون ٥٠/١.

(٣) تذكرة السامع ٤٩ ـ ٥٠، وكتاب الأم ٨٤/٦.

(٤) إحياء علوم الدين ٨٤/١، وتذكرة السامع ٤١ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٢٥٧/٢.

(٥) إحياء علوم الدين ٨٤/١، وقال العراقى فى تخريج الأحياء ٥٧/١: «لم أجده»، وذكره فى الأسرار المرفوعة حديث وقم ٧٥٦، ونقل قول العراقى فيه.

ولكلّ شيءٍ تشتهيه طلاوةٌ
مدفوعة إلاَّ عن المدفوع

وانظر إرشاد رسول الله ﷺ، وتلطفه مع الأعرابى الذى بال فى المسجد[١]، ومع معاوية بن الحكم[٢] لما تكلَّم فى الصَّلاة[٣] فإن انزجر لذكائه بالإشارة فذاك، وإلاَّ نهاه سرّاً، فإن لم ينته نهاه جهراً، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره، ويتأدَّب به كلّ سامع، فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، وكذلك يتعهده بإفشاء السلام وحسن التخاطب فى الكلام، وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم، لمعاملة الله يعلمهم مصالح دُنياهم، لمعاملة الناس ليكمل لهم فضيلة الحالتين، وبالله التوفيق.

ومن ذلك أن لا يتعاظم علَى المتعلمين، بل يلين لهم القول، ويتواضع لهم قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٥) وقال ﷺ: إِنَّ اللهَ أَوْحى إِلَىَّ أَنْ تَوَاضَعُوا[٤] والأحاديثُ فى التواضع ولِينِ الجانب كثيرةٌ[٥]، وهذا التواضع لمطلق الناسِ، فكيف بهؤُلاء الذين كأولاده مع

---

(١) البخارى ١/ ٤٤، ٥/ ٢٢٤٢ و ٢٢٧٠، ومسلم ١/ ٢٣٦، وفتح البارى ١/ ٣٢٣ و ٣٥٩، ٧/ ٤٩، ١٠/ ٤٣٩ و ٤٤٩ و ٥٢٥، ١١/ ٣٦٣، تحفة الأحوذى ١/ ٣٩٢، وشرح النووى على صحيح مسلم ٣/ ١٩٠.

(٢) هو معاوية بن الحكم السلمىّ: صحابى، يعدُّ فى أهل الحجاز، سكن المدينة.
الاستيعاب ترجمة ٢٤٦٢، وأسد الغابة ترجمة ٤٩٨١، والإصابة ٦/ ١١٨.

(٣) أى فَقَال رسول الله ﷺ: إِنَّ هذه الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَىء مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، انظر الخبر فى الإصابة ٦/ ١١٨.

(٤) حديث حسن، رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، عن عياض بن حمار انظر سلسلة الصحيحة ٥٧٠، وصحيح الجامع الصغير ١٧٢٥.
وانظر أيضًا شعب الإيمان ٥/ ٢٨٥ و ٦/ ٢٧٤، وحلية الأولياء ٢/ ١٧.

(٥) التذكرة الحمدونية ٣/ ٩٢، والمستطرف فى كل من مستظرف ١/ ٤٠٠، ولباب الآداب ٢٥١ و ٢٥٢ فما بعد، ومحاضرات الأدباء ١/ ٢٦٢، وتذكرة السامع والمتكلم ص ٦٤ و ٦٥.

مُلازمتهم واعتمادهم عليه فى طلب العلم، ومع ما هم عليه من حقّ الصّحبة، وحرمة التردُّد، وشرف المحبة، وصدق التودد، وفى الخبر عنه ﷺ: عَلِّمُوا وَلاَ تُعَنِّفُوا فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَنِّفِ[١] وعنه ﷺ: لِينُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ[٢].

ومن ذلك أن يُوقِّر طلبته ويُعظّمهم، ويحسّن خلُقه معهم، ويُرحّب بهم إذا لقيهم، ويُعاملهم بالبشاشة، وطلاقة الوجه، ويحسن إليهم بعلمه وماله وجاهه، بحسب التيسير، وينبغى[٣] أن يُخاطبَ كملاً منهم، لا سيما الفاضل للتمييز بكنيته ونحوها من أحبّ الأسماء إليه، وما فيه من تعظيم وتوقير.

ففى الخبر عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكنى أصحابه إكرامًا لهم[٤]، وجاء كثيراً مخاطبته لأبى بكر رضي الله عنه بالصدّيق[٥] فإن ذلك ونحوه أشرَح لصدورهم، وأبسط لسؤَالهم، وكان البويطى[٦] يدنى القراء ويقربهم إذا طلبوا العلم، ويعرفهم فضل الشافعى، وفضلَ كتبه، ويقول: كان الشافعى يأمر بذلك ويقول: اصبروا للغرباء وغيرهم من التّلاميذ[٧]، وقيل: كان أبو حنيفة أكرمَ الناس مجالسةً وأشدّهم إكرامًا لأصحابه[٨]، وإذا غاب أحدُهم غيبةً زائدةً عن

---

(١) حديث ضعيف، كما نص على ذلك الشيخ الألبانى فى سلسلة الضعيفة ٢٦٣٥، وضعيف الجامع الصغير ٣٧٣١.

(٢) رواه أبو داود فى سننه بمعناه ٢/ ١٩٠ ـ ولتنظر الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٧٩.

(٣) تذكرة السامع ٦٥.

(٤) تذكرة السامع ٦٥.

(٥) سبل الهدى والرشاد ١١/ ٢٥٤.

(٦) هو أبو يعقوب، يوسف بن يحيى القرشىّ، البويطى: صاحب الإمام الشافعى، وواسطة عقد جماعته، قام مقامه فى الدرس والإقتاء بعد وفاته، وهو من أهل مصر، حُمل إلى بغداد فى محنة خلق القرآن، محمولاً على بغل، مقيّداً، وسجن بسبب ذلك، ومات فى سجنه ببغداد سنة ٢٣١هـ.

تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩، وطبقات السبكى ٢/ ١٦٢.

(٧) تذكرة السامع ص ٦٦.

(٨) تهذيب الأسماء ٢/ ٥٠٦.

العادة سأل عنه، فإن لم يخبر عنه أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه وهو أفضل، وإن كان مريضًا عاده، أو فى غم خفض عنه، أو مسافرًا تفقد أهله، وتعرّض لقضاء حوائجهم ووصلهم بما أمكن.

ومن ذلك ينبغى أن يستعلم أسماء طلبته، وحاضرى مجلسه وأنسابَهم، ومواطنَهم وأحوالَهم، وأن يكون سمحا ببذل ما حصله من العلم، سهلاً بإلقائه، متلطفًا فى إفادة طالبيه، مع إرشادٍ إلى المهمات، وتحريضٍ علَى حفظ ما يبذله لهم من الفوائد، ولا يدخر عنهم ما يحتاجون إليه، أو يسألون عنه، لأنَّ ذلك ربما يوحش صدورهم، وينفر قلوبهم، وكذلك لا يلقى لهم شيئًا لم يتأهلوا له لأن ذلك يبدد أذهانهم، ويفرّق أفهامهم، فإن سأله الطالب من ذلك شيئًا فيعرفه أنّ ذلك يضرّه، وأنه لم يمنعْه شُحًا، بل شفقة ونُصحًا، ثم يُرغبه فى التحصيل ليتأهلَ لذلك، وقد روى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ** ﴾ (آل عمران: ٧٩) إنه الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره[1].

ومن ذلك صدُّ المتعلّم أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين، وفرض عينه: إصلاح ظاهره وباطنه.

ومن ذلك أن يكون حريصًا علَى تعليم الطلبة مهتمًا بذلك مؤْثرًا ذلك علَى حوائجه ومصالحه، ويفهم كلّ واحدٍ بحسب فهمه، ولا يبسط له الكلام بسطًا لا يضبطه حفظه، ولا يقصّر به عما يحتمله بلا مشقّة، ويُخاطب كلاً علَى قدر درجته وفهمه وهمته، فيكتفى للحاذق بالإشارة، ويوضح لغيره بالعبارة، ويكررها لمن لا يفهمها إلاّ بتكرار، ويبدأ بتصوير المسألة، ثمَّ يوضحها بالأمثلة ويقتصر علَى ذلك من غير دليل ولا تعليل، فإن سهل عليه الفهم فيذكر له الدَّليل والتعليل، والمأخذ منه والمدرك، ويُبيّن أسْرار حكم المسألة وعللها

---

(١) رواه البخارى ١/ ٣٨، وتفسير القرطبى ٤/ ١٢٢.

وتوجيه الأقوال، ويبين الفرق بين المسألتين، ومأخذ الحكمين، ويبين ما يتعلّق بالمسألة من النكت اللّطيفة، والألغاز الظَّريفة، والأمثال والأشعار واللغات وما يَرِد عليها، أو علَى عبارة مماليها، وينبه علَى غلط من غلط فيها من حكم أو تخريج فيقول مثلاً: هذا هو الصواب أو الصحيح، وأما ما ذكره فلان فغلطٌ أو ضعيف قاصداً بذلك النصيحة لا التنقيص لمصنفه.

ومن ذلك أن يذكر لهم قواعد الفنّ التى لا تنخرم مطلقًا، أو غالبًا مع مُستثنياتها أن لو كانت كقولنا: إذا اجتمع سبب ومباشرة، قدَّمنا المباشرة علَى السبب فى الضمان، وإن اليمين علَىَ المدعى عليه إذا لم تكن بينةٌ إلاّ فى القسامة، وإذا اجتمع قولان: جديد وقديم فالعمل بالجديد إلاّ فى مسائلَ مَعدودةٍ المشهور منه أربع عشرة مسألة، وأوصلها ابن الملقن[1] إلى أكثر من ثلاثين ويذكرها أو ما حضره منها، وإن مَن قبض شيئًا لغرضه لا يُقبل قوله فى الرَّدّ إلى المالك، ومن قبضه لغرض المالك قُبل قوله فى الرَّدّ إليه لا إلى غيره[2]، وإن الحدود تسقط بالشبهة، وإن الاعتبار فى اليمين بالله تعالى أو الطَّلاق أو العَتاق أو غيرها بنيّة الحالف إلاّ أن يكون المستحلِف قاضيًا فاستحلفه بالله لدعوى اقتضته فالاعتبار بنية القاضى، أو نائبه المستحلَف إن كان الحالف يوافقه فى الاعتقاد وإلاّ فوجهان، وإن كلّ يمين علَى نفى فعل الغير فهى علَى نفى العلم إلاّ من ادُّعى عليه أن عبده جنى فيحلف علَى البت علَى الأصح، أو بهيمته جنت فيحلف علَى البتّ قطعًا، وإن السيد لا يثبت له مال فى ذمّة عبده

---

(١) هو أبو حفص، عمر بن على بن أحمد الأنصارى الشافعى، سراج الدين، ابن النحوى، المعروف بابن المُلَقِّن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، أصله من وادى آش بالأندلس، له نحو ثلاثمائة مصنّف، مولده ووفاته بالقاهرة سنة ٨٠٤هـ، ذيل الدُّرر الكامنة ١٢١، والذيل التام ١/ ٤٢٢، وذيل طبقات الحفّاظ ١٩٧ و ٣٦٩.

(٢) عون المعبود ١٠/ ٣٤، المحلى ٩/ ٣٧٩، وشرح النووى على صحيح مسلم ١٢/ ٢، والمغنى ٦/ ٤٣ و ٨/ ٣٩٤.

ابتداءً، وفى ثبوته دوامًا وجهان، وكلّ عبادة يخرج منها بفعل منافيها ومبطلها إلاَّ الحجّ والعمرة، وكلّ وضوء يجب فيه الترتيب إلاّ وضوءًا تخلله غسل الجنابة[١] وإن ما لا يجب التعرُّض له فى العبادة جملةً ولا تفصيلاً لا يضرّ الخطأُ فيه، وما يجب التعرُّض له تفصيلاً، أو جملةً يضرُّ الخطأُ فيه:

الأوَّل: كخطئ الإمام فى تعيين تابعه لا يضرّ.

والثانى: كخطئه من الصوم إلى الصلاة، أو من صلاة فرض معين إلى غيره.

والثالث: كخطأ المأموم فى تعيين الإمام.

وان إشارة الأخرس[٢] كنطقه إلاَّ فى أربع مسائلَ: الشهادة فى الأصح، وإبطال الصلاة، وانعقاد اليمين، وإذا حلف لا يكلم زيدًا فأشار إليه، وإن إشارة الناطق القادر علَى العبارة لغوٌ إلاَّ فى أربع مسائل: الأمان، وإشارة الشيخ فى رواية الحديث، وقوله: أنتِ طالقٌ هكذا وأشار بأصابعه، وإذا سُلِّمَ علَى المصلى يرد بالإشارة، نصّ عليه فى القديم[٣]، وأشباه ذلك.

وكذلك يبين[٤] له جملاً مما يحتاج إليه وينضبط من أُصول الفقه كترتيب الأدلة من الكتاب والسُّنة والإجماع والقياس والاستصحاب عند من يقول به، وأنواع الأقيسة ودرجاتها، وحد الأمر والنهى والعموم والخصوص وغيرها، وأحكام ذلك وقواعده، وجُمَلاً من[٥] أسماء المشهورين من الصحابة فَمن بعدَهم من العلماء والأخيار، وتراجمهم ووفياتهم، وضبط المشكل من أنسابهم وأسمائهم والمشتبه من ذلك، والمختلف والمؤتلف، ونحو ذلك، وجملاً من

---

(١) المهذب ١/ ٥٤، والمجموع ١/ ٤٨٠، والشرح الصغير ١/ ١٢٠، والشرح الكبير ١/ ١٠٢، ومغنى المحتاج ١/ ٥٤، والدر المختار ١/ ١١٣، وفتح القدير ١/ ٢٣، وتذكرة السامع ٥٧.

(٢) المغنى ٤/ ١٤٨ و ٣٤٩.

(٣) انظر المغنى ٧/ ٣٧٣، ونيل الأوطار ٧/ ٣١ و ٣٣.

(٤) كتاب العلم النووى ص ٩٦.

(٥) كتاب العلم للنووى ص ٩٧.

الألفاظ اللغويَّة والعرفية المتكررة فى الفقه ضبطًا لمشكلها، وخفى معانيها فيقول: هى مفتوحةٌ، أو مضمومةٌ، أو مكسورةٌ، مخفَّفة أو مُشدَّدة، مهموزة أولا، عربية أو عجمية أو معرّبة وهى التى أصلها عجمى وتكلمت فيها العرب، مصروفة أم لا، مشتقة أو لا، مشتركة أم لا، مترادفة أم لا[١].

وأن المهموز والمشدّد يُخفَّفان أم لا، وأن فيها لغة أُخرى أم لا، ويبين ما ينضبط من قواعد التصريف ونحو ذلك، وإذا وقعت مسألةٌ غريبة لطيفةٌ، أو مما يسأل عنه فى المعاياة نبّه عليها، وعرّفهم حالها، ويكون تعليمه إياهم كلّ ذلك تدريجًا شيئًا فشيئًا، فيجتمع لهم مع طول الزَّمان جمل كثيرة[٢]، والله أعلم.

ومن ذلك أن يحرّضَهم علَى الاشتغال فى كلّ وقت، ويطالبهم بإعادة محفوظاتهم، فمن وجده حافظًا مراعيًا لمحفوظاته ومهماته وقواعده أثنى عليه وأشاع ذلك، ومن وجده مُقصِّرًا عنّفه وأعاده له ليحفظَه حفظًا راسخًا[٣].

ومن ذلك ينبغى له أن يطرح علَى أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل ويختبر بذلك أفهامهم، ودليلُ ذلك ما رواه الشيخان عن ابن عمر[٤] ﷺ: أن النبى ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَة . . .»[٥]، الْحَدِيث.

---

(١) كتاب العلم للنووى ص ٩٧.

(٢) كتاب العلم للنووى ص ٩٧

(٣) كتاب العلم للنووى ص ٩٧.

(٤) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوىّ: صحابىّ، من أعزّ بيوتات قريش فى الجاهلية، كان جريئًا جهيرًا، نشأ فى الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها سنة ٧٣هـ، الإصابة ترجمة ٤٨٢٥، ونكت الهميان ١٨٣.

(٥) الحديث فى البخارى (٦١ و ١٣١)،

وفيه: عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل الرجل المسلم، حدّثونى ما هى؟» قال عبد الله: فوقع الناس فى شجر البوادى، ووقع فى نفسى أنها النخلة، قال: فاستحييت فقالوا: يا رسول الله ما هى؟ قال: «هى النخلة» قال عبد الله ابن عمر: فحدّثت عمر بن الخطاب ﷺ بالذى وقع فى نفسى، قال عمر: لأن تكون قلتها أحبُّ إلى من أن يكون لى كذا وكذا». =

ومن ذلك إذا فرغ من شرح درسٍ فلا بأس بطرح[١] مسائلَ تتعلَّق به علَى الطَّلبة، وإعادة ذكر ما أشكل منه ليمتحنَ بذلك فهمهم وضبطهم لما شرحه لهم. فمن ظَهَر استحكام فهمه شكره، ومن لم يفهم تلطّف فى إعادته، والمعنى أنه ربُما استحى من قوله لم أفهم، وسبب هذا: إما رفع كلفة الإعادة علَى الشيخ، أو لضيق الوقت، أو حياء من الحاضرين، أو كيلا تتأخَّرَ قراءةُ بعضهم بسببه، ولذلك قيل[٢]: لا ينبغى للشيخ أن يقول للطالب هل فهمتَ إلاّ إذا أمِنَ منْ قوله نعم قبلَ أن يفهم، وينبغى للشيخ[٣] أن يأمُرَ الطلبةَ بالمرافقة فى الدُّروس، وإعادة ما وقع من التقرير بعد فراغه ليثبتَ فى أذهانهم، وإذا فهم الشيخُ فائدةً من البعض فى البحث وإن كانت من صغير فينصفه بها، ويشكره عليها، فإن ذلك من بركة العلم، ولا يظهر الشيخ للطلبة تفضيلَ[٤] بعضهم علَى بعض لا سيما إذا تساوَوْا فى الصّفات: من سن أو فضيلةٍ، أو تحصيلٍ أو ديانة فترجيحُ بعضهم علَى بعض مما يوغر الصدُور، فإذا ظهرت فضيلته يثنى عليه فى حدّ ذاته من غير تصريح بأن فلانًا أفضل من فلانٍ فاعلم ذلك.

ومن ذلك أن يقدّم فى التعليم[٥] الأسبق فالأسبق إذا ازدحموا، ولا يقدّمه بأكثر من درس إلاّ برضى الباقين، ويختار إذا كانت الدُّروسُ فى كتابٍ واحدٍ باتفاق منهم وهو المسمى بالتقسيم أن يبدأ فى كلّ يومٍ بدرس واحد منهم فإن الدَّرس الأوَّل ربُما حصل فيه من النّشاط والتقرير ما لا يحصُل فى الباقى إلاّ إذا

= وانظر أيضًا تفسير ابن كثير ٢/ ٥٣١، ومسند أحمد ٢/ ١٢ وفتح البارى ١/ ١٤٥، وتحفة الأحوذى ٨/ ١٣٥، والفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢١١.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٤.

(٤) تذكره السامع والمتكلم ص ٥٩.

(٥) كتاب العلا النووى ص٩٧.

علم من نفسه عدمَ الملالة، وبقاء النشاط، في ... الدُّرُوسَ ترتيبَ الكتاب وإن رأى مع ذلك تقديمَ الأسبق ليحضّ المتأخرَ على التَّقدُّم كان حسنًا، ولا يقدّم أحدًا في نوبة غيره، ولا يؤَخّره عن نَوبته إلاَّ إذا رأى في ذلك مصلحةً، فإن سمح بعضهم لغيره في نوبته فلا بأس، وإن جاءوا معًا وتنازعوا أقرع كما سيأتي إن شاء الله في القسم الثالث من النوع الثالث.

ومن ذلك إذا سلك الطالب فوق ما يقتضيه حاله، وخاف ضجره أوصاه بالرّفق بنفسه، وكذلك إذا ظهر له منه نوع سآمة أو ضجر أمرَه بالرّاحة ولا يشير على الطَّالب بتعلُّم ما لا يحتمله فَهمه أو سِنُّه، ولا بكتاب يَقْصُرُ عنه ذهنُه، فإن استشاره من لا يعرف حاله في قراءة فنٍّ مشكلٍ أو كتابٍ مشكلٍ لم يُشر عليه بشيءٍ حتى يجرّب ذهنه، ويعلم حاله، فإن لم يحتمل الوقتُ التأخير أشار عليه بكتابٍ سهل من الفنّ المطلوب، فإن رأى فَهمه جيّدًا نقله إلى كتاب يليقُ بذهنه، لأنّ نقل الطالب الذَّكي يزداد به فَهمُه واجتهادُه وانبساطه، ونقلُ الطَّالب غير الذَّكي يُكلُّ فَهمه ونشاطَه، ولا يمكّن الطَّالبَ من الاشتغالِ في فنين أو أكثر إذا لم يَضبطْهما، بل يقدّم الأهمَّ فالأهّم، وإذا غلب على ظنّه أنه لا يفتح عليه في ذلك الفنّ أشارَ عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يرجى فلاحُه فيه، وإذا كان الشيخ متكفلاً ببعض العلوم، فلا يُقبّح للطَّالب باقي العلوم التي لا يحسنها، إذ من عادة مُعلّم اللغة تقبيحُ الفقه، ومعلمِ الفقه تقبيحُ علم الحديث والتفسير، بل يوسّع على الطالب طريقَ التعلُّم مطلقًا.

ومن ذلك أن لا يتأذّى ممن يقرأُ عليه إذا قرأ على غيره، قال النووي: وهذه مصيبةٌ يُبتلى بها جهلةُ المعلمين لغباوتهم، وفسادِ نيّتهم وإرادتهم بالتعليم غيرَ وجه الله، وهذا إذا كان المعلم الآخر أهلاً، فإن كان فاسقًا أو مبتدعًا أو كثيرَ الغلط فليحذره من الاغترار به والله يعلم المفسدَ من المصلح والله تعالى أعلم.

القسم الثالث

آدابه فى درسه[١]

فمنها: إذا عزَم علَى التدريس، أن يتطهر من الحدَث والخبث، فلا يلقى الدَّرسَ إلاَّ علَى الطَّهارة، وأن ينظّف ويطيبَ بدَنَه وثوبه، ويختار له لبس البياض، ولا يعتنى بفاخر الثياب، ولا يقتصر علَى خلَقٍ ينتَسب صاحبُه إلى قِلة مُرُوءة، وأن يتطيّب ويُسرّح لحيته، ويزيل كلَّ ما يَشينه: كان الإمام مالك رضي الله عنه إذا جاءه الناسُ لطلب الحديث اغتسل وتطيبَ ولبس ثيابًا جُدُدًا ووضع رداءه علَى رأسه، ثم يجلس علَى منصة، ولا يزال يبخّر بالعود حتى يفرغ وقال: أُحبُّ أن أُعظِّمَ حديثَ رسول الله ﷺ[٢].

ومنها: قال ابن جماعة[٣]: يصلى ركعتى الاستخارة وينوى نشرَ العلم وتعليمه وبث الفوائد الشرعية، والاجتماع علَى ذكر الله، وإذا خرج من بيته للدَّرس فيدعو بما ورد فى الصحيح عن النبى ﷺ فيقول: اللَّهُمَّ إنّى أعُوذُ بكَ أنْ أضِلَّ أوْ أُضَلَّ، أوْ أزِلَّ أوْ أُزَلَّ، أوْ أظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أوْ أجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ علَىَّ، عَزَّ جَارُك، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، ولاَ إلهَ غَيْرُكَ[٤]، ثم يقول: باسْم الله وَبالله

---

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم ٣٠ فما بعده

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣١، والمِنصَّة، بحسر الميم: الكرسىّ.

(٣) هو أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد فى حماة، وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى، وكان من خيار القضاة، وتوفى بمصر سنة ٧٩٧ هـ، له تصانيف منها: «تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلّم» وهو مطبوع مشهور، نكت الهميان ٢٣٥، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٨.

* وقول ابن جماعة فى كتابه تذكرة السامع والمتكلم ٣١، وانظر الخبر فى تذكرة السامع والمتكلم ص ٣١.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٩، سنن أبى داود ٤/ ٣٢٥، المعجم الأوسط ٣/ ٣٤، المعجم الكبير =

حَسْبِىَ اللهُ تَوَكَّلْتُ علَى اللهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِىِّ العَظِيم، اللّهُمَّ ثَبّتْ جَنانى، وَأَدِرْ علَى الحقّ لسانى[(١)]، ويُديمُ ذكرَ الله تعالى إلى أن يصل إلى المجلس، فإذا وصل يُسلم علَى مَن حضر، ويصلى ركعتين (إن لم يكن وقت كراهة)[(٢)]، فإذا كان مسجداً تأكَّدَتْ الصَّلاة وإن كان وقتَ كراهة، ثمَ يجلسُ بوَقارٍ وسكينة وتواضع وخشوع، والأولى أن يكون مستقبلَ القبلة[(٣)] كيف اتّفق لا مقعيًا الإِقعاءَ[(٤)] المكروه فى الصَّلاة ولا مستوفزاً[(٥)]، ولا رافعًا إِحدى رِجليه علَى الأُخرى، ولا مادّاً رِجليه أو إِحداهما من غير عذرٍ، وأن يصون بدنَه عن الزَّحف والتّنقُّل عن مكانه، ويديه عن العبث والتشبيك بهما، وعينيه عن تفريق النَّظر بلا حاجة ويتقى المزاح وكَثرة الضَّحِك فإنّه يُقلّلُ الهيبة ويُسقط الحشمة[(٦)].

ومنها: أن يُحسّنَ خُلُقَه مع جلسائه ويوقّرَ فاضلهم بعلمٍ أو سنّ أو صَلاح أو شَرَفٍ أو نحو ذلك، ويرفعهم في المجلس علَى حسب تقديمهم فى الإِمامة ويكرمهم بحسن السلام، وطَلاقة الوجه، والبَشاشة والابتسام وبالقيام لهم علَى سبيل الاحترام[(٧)]، ولشيخ الإِسلام محيى الدّين فى الترخيص فيه كتابٌ مستقلٌ[(٨)]

= ٢٣/ ٣٢٠، ٢٤/ ٩، تحفة الأحوذى ٩/ ٢٧٢، فيض القدير ٥/ ١٢٤. وانظر تذكرة السامع والمتكلم ٣١.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٣٢.

(٢) زيادة من تذكرة السامع والمتكلم ٣٢، يقتضيها السياق.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٣٢.

«قال سلم بن جنادة: جالست وكيعًا سبع سنين فما رأيته بزق ولا مس حصاة ولا جلس مجلسه فتحرك، ولا رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله» وكان وكيع بن الجراح أحد الأئمة الأعلام، وكفى بالعالم أن يقتدى بمثل هذا الإمام.

انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦.

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ٤/ ٢١٥.

(٥) يقال: استوفز فى قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، أو وضع ركبتيه ورفع إليتيه، أو استقل على رجليه.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ٣٢.

(٧) تذكرة السامع والمتكلم ٣٣.

(٨) هو كتاب (الترخيص فى الإكرام بالقيام لذوى الفضل والمزية من أهل الإسلام). انظر كشف الظنون ١/ ٣٩٨.

شفى فيه الغليل، وأتى فيه بواضح الدَّليل، وأجاب عما يوهم كراهته نفع الله ببركاته.

ومنها: أن يقدّم تلاوةَ القرآن العظيم فى البحث والتدريس، ثم إن كان فى مدرسة اتبع شرطها، ويدعو عقيب القراءَة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين[١] بعد أن يدَعو للعلماء الماضين، ومشايخه ووالديه والحاضرين ولواقف المكان، وكان بعضهم يؤَخرُ ذكر نفسه فى الدُّعاء عن الحاضرين تأَدُّبًا والكل حسن، وقد عمل قوم بالأوّل، وقوم بالثانى[٢]. انتهى.

ويُستحَبّ لهم إذا اجتمعوا للعلم قراءة سورة، وكان الحافظ الشهاب ابنُ حجر[٣] يستفتح مجلسَ إملائه بسورة الأعلى، وسئل عن الحكمة فى قراءتها فقال: تبعت فى ذلك شيخَنا العراقى[٤] ومناسبتها: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ (الاعلى: ٦) وقوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ (الاعلى: ٩) وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ (الاعلى: ١٨) ويُستحبُّ إذا اجتمع صاحبان أن يقرءا قبل التفرُّق سورة العصر، ولمن رأى ما يحب أن يقول: الحمدُ لله الذى تتمُّ بنعمته الصالحات، أو يكره: الحمد لله

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٣٤.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣٥.

(٣) هو أبو الفضل، أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت شهرته، فقصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام فى عصره، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفًا بأيام المتقدمين، وأخبار المتأخرين، وولى قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فهى كثيرة جليلة، عظيمة الفائدة، مولده ووفاته بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ، الضوء اللامع ٢/ ٣٦، والأعلام ١/ ١٧٨

(٤) هو أبو الفضل، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بحّاثة، من كبار حفّاظ الحديث، أصله من الكرد، ومولده فى رازنان (من أعمال إربل) تحوّل صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة سنة ٨٠٦هـ وتصانيفه كثيرة مفيدة، إنباء الغُمر ٢/ ٢٧٥، الضوء اللامع ٤/ ١٧١، والأعلام ٣/ ٣٤٤.

علَى كلّ حال، أو أعجبه شيءٌ: ما شاء اللهُ لا قُوَّةَ إلاَّ بالله، ولمن أتاه خبرٌ صالحٌ: اللّهم لك الحمد شكرًا، ولك المنّ فضلا، ولمن غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم، ولمن قام من مجلسه: سبحان الله وبحمده، وفى رواية: سبحانك اللهمّ وبحمدكَ أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليك، وفى رواية: اللهمّ تُبْ علىَّ واغفرْ لى ثلاثًا، وفى رواية: سبحان ربّكَ ربّ العزّة عمَّا يَصِفون وسلامٌ علَى المرسلين والحمدُ لله ربّ العالمين[١].

ومنها: إذا تَعدّدت الدُّروس[٢] أن يُقدّمَ أشرفَ العلوم وأهمَّها، فيُقدّم التَّفسيرَ ثم الحديثَ ثم الفقهَ، ثم الأُصولَ أصولَ الدّين ثم أصولَ الفقه ثم المذْهب ثم الخلاف أو النَّحو أو الجدَل، وبعضهم أخَّر الجدَل عن الخلاف، وكان بعضهُم يختم درسَه[٣] برقائق تُفيدُ تطهيرَ الباطن، فإن كان فى مدرسة لواقفها فى الدُّرُوس شرطٌ اتّبعه ولا يُخلّ بما هو أهم ما بنيت له تلك البنية ووقِفَت لأجله.

ومنها: أن لا يطيلَ[٤] مجلسه تطويلاً يملُّهم أو يمنعُهم فَهم الدَّرْس وضبطه، لأنَّ المقصودَ إفادتهم وضبطهم، فإذا صاروا إلى هذه الحالة فات المقصودُ، ولا يقصره، تقصيرًا يخلُّ، فيراعى المصلحة فى التَّطويل والتَّقصير.

ومنها: أن لا يدرس[٥] وبه ما يزعجه ويذهب استحضارَه كمرض أو جوع أو عطش[٦] أو مُدافعةِ حدَثٍ، أو شِدّة فَرح أو غَمّ أو غَضَب أو نُعاسٍ أو قَلَق ولا

---

(١) هذه الآيات آخر سورة الصّافات (الآيات ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢) انظر تفسير الطبرى ١٠/٥٤٢ ـ ٥٤٣، والقرطبى ١٥/ ١٤٠ و ١٤١.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣٥. (٣) تذكرة السامع والمتكلم ٣٧.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٣٨. (٥) تذكرة السامع والمتكلم ٣٣.

(٦) قلت: هذا من أعظم الأمور التى لوحظت فى الدرس من القرون السالفة إلى هذا العصر، وقد حكى أن أبا يوسف (رحمه الله تعالى) كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط، وكان صهره عنده يتعجب فى أمره ويقول: أنا أعلم أنه جائع منذ خمسة أيام ومع ذلك يناظر بقوة ونشاط، وانظر تعليم المتعلم للزرنوجى ٢١.

فى حال برده المؤلم، وحرّه المزعج، فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب، ولأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النّظر، ولا يكون فى مجلسه ما يؤذى الحاضرين بل يكونِ واسعًا مصونًا من الحرّ والبرد والرّيح والغبار والدُّخان ونحو ذلك.

ومنها: ينبغى مُراعاة[١] مصلحةِ الجماعة فى تقديم وقت الحضور وتأخيرِه فى النهار، وأفتى بعضُ أكابر العلماءِ أن المدرّسَ إذا درَّس قبلَ طلوع الشمس أو أخّره إلى بعد الظُّهرِ لم يَستحقَّ معلومَ التدريس إلاَّ أن يقتضيَه شرطُ الواقف لمُخالفَته العُرفَ المعتادَ، ولا يرفع صوتَه زيادةً علَى الحاجة، ولا يخفضه خَفضًا يمنعُهم من كمال الفَهم[٢]، رُوِى عن النبى ﷺ قال: إنَّ اللهَ يحبُّ الصَّوْتَ الْخَفِيضَ وَيُبْغِضُ الصَّوْتَ الرَّفيعَ[٣] قال أبو عثمان محمدٌ[٤] ابنُ الإمام الشافعى رضي الله عنه: ما سمعتُ أبى يُناظرُ أحدًا قطّ فرفع صوته[٥]، أى لم يرفع فوق العادة[٦] فإن حضر فيهم ثقيل السَّمع، فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يُسْمِعُه[٧].

ومنها: أن يَصون مجلسَه من اللغط، وعن رفع الأصوات، وسوء الأدب فى المباحثة واختلاف جهات البحث[٨]، قال الرَّبيع[٩]: كان الشافعى إذا ناظره أحدٌ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.
(٣) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع ١/ ٤١٢، وانظر أيضًا تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.
(٤) وهو أكبر أولاد الشافعى، ولما توفى والده كان بالغًا مقيمًا بمكة، ولى القضاء بالجزيرة وأعمالها، وولى أيضًا القضاء بمدينة حلب، وبقى بها سنين كثيرة، توفى فى الجزيرة بعد سنة ٢٤٠هـ طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٧١.
(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.
(٦) فى تذكرة السامع والمتكلم ٣٩، قال البيهقى. «أراد ـ والله أعلم ـ فوق عادته».
(٧) تذكرة السامع والمتكلم ٣٩.
(٨) تذكرة السامع والمتكلم ٤٠.
(٩) هو أبو محمد، الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى، بالولاء، المصرى: صاحب الإمام الشافعى، وراوى كتبه، وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون، كان مؤذنًا، وفيه سلامة وغفلة، مولده ووفاته فى مصر سنة ٢٧٠هـ.
السير ١٢/ ٥٨٧، وطبقات السبكى ٢/ ١٣٢.

في مسألة فغدا إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نعودُ إلى ما تريد[١] والقصد من البحث ظُهورُ الحقّ، وحُصولُ الفائدة، واستفادة البعض من البعض لا القيامُ مع النفوسِ والجدَلُ والمماراة، فإنَّ ذلك مذمومٌ شرعًا، فلا يليق بأهل العلم تعاطي المناقشة بالمنافسة والشحناء، لأنَّ ذلك يورثُ العداوةَ والبغضاءَ، بل يجبُ الاجتماعُ علَى الحقّ عملاً بقول الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٨) ولْيزجر من تعدّى في بحثه، وظهر منه سوءُ أدَب، أو لَدَدٌ[٢]، أو تركُ إنصافٍ بعد ظهور الحقّ، أو أكثرَ الصياحَ بغير فائدة، أو أساءَ أدبه علَى غيره من الحاضرين أو الغائبينَ، أو ترفَّع في المجلس علَى مَن هو أولى منه، أو نام، أو تحدَّث مع غيره، أو ضَحِك، أو استهزأ بأحد[٣]، وينبغي أن يكون له نقيبٌ فَطِنٌ كَيِّسٌ دَرِبٌ يرتّبُ الحاضرين ومَن يدْخلُ عليه علَى قدر منازلهم، ويوقِظُ النائمَ، وينبه الغافلَ، ويأمر بسَماع الدُّروس والإنصات لها[٤].

ومنها: أن يلازِمَ[٥] الإنصاف في بحثه وخطابه، ويَسْمَعَ السؤَالَ من مُورِده علَى وجهه، وإذا عجزَ السائلُ عن تقرير ما أوردَهُ لحياء ونحوه عبَّر الشيخُ عن مُراده، وبيَن وجهَ إيراده، ثمَّ يُجيبه عن ذلك السؤَال، ويُفهِمه إيَّاهُ علَى أحْسَن منوال وينبغي أن يتودَّدَ لغريبٍ حضر عندَهُ لينشرِحَ صدْرُه، فإن للقادم دهشة[٦].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٠. (٢) لدَّه يَلُدُّهُ لدًّا: خَصَمَهُ، فهو لادٌّ ولَدُودٌ، تاج العروس ٩/١٣٨.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٤١، وانظر ما قاله أبو حازم الأعرج، وكان من العلماء الأبرار: «رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيت فيه متمارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا...» انظر تذكرة الحفاظ ١/١٢٤.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٤١، والحق إن بالمذاكرة يثبت المحفوظ، وإن مذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المذاكرة والمطالعة والحفظ ساعات بل أيام.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٤١.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم ٤٣، وهناك أمثلة كثيرة تدلّ على مثل هذه الشفقة على المتعلم، وعن سعيد بن المسيّب رحمه الله، قال: قلت لسعد بن مالك: إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أهابك، فقال: لا تهبني يا بن أخي إذا علمت أن عندي علمًا فسلني عنه.

ومنها: إذا أقبل بعضُ الفضلاءِ وقد شرع فى مسألة أمسك عنها حتى يجلس وإن جاء فى أثناءِ بحثها أعادها له[١].

ومنها: إذا سُئل عن شيءٍ لا يعرفه، أو عَرَضَ فى الدَّرْس ما لا يعرِفه فليقُلْ لا أعرِفُه أو لا أتحقَّقُه أو لا أدرى[٢]، ولا يستنكف عن ذلك فمن علم العالم أن يقولَ فيما لا يعلم: لا أعلم والله أعلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها النَّاسُ من عَلم شيئًا فلْيقُل به، ومن لا يعلَم فلْيقُل: الله أعلم، فإنَّ من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (سورة ص: ٨٦) وقال عمر رضي الله عنه: نُهينا عن التكلُّف، وقال علىّ رضي الله عنه: إذا سُئلتم عما لا تعلمون فاهرُبوا، قالوا: كيف الهرب؟ قال: تقولون الله أعلم، وقال ابن عباس: إذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله[٣]، وقد نظمه الإمام أبو بكر[٤] بن دُرَيْد فقال (من الطويل):

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٤٢، وقد قال العلماء: كلمة «لا أدرى» نصف العلم، ولنا أمثلة عالية فى هذا التعليم، وذلك عن الإمام الجليل، إمام الكوفيين فى اللغة والنحو، حيث قال أبو عمر الزاهد، وهو غلام ثعلب: كنت فى مجلس أبى العباس ثعلب فسأله سائل عن شىء، فقال: لا أدرى، فقال له: أتقول لا أدرى؟ وإليك تضرب أكباد الإبل، وإليك الرحلة من كل بلد، فقال له أبو العباس ثعلب: لو كان لأمك بعدد ما لا أدرى بعر لاستغنت.
وقيل: ينبغى للعالم أن يورث أصحابه لا أدرى لكثرة ما يقولها، واعلم أن قول المسئول لا أدرى لا يضع من قدره كما يظنه بعض الناس الجهلة بل يرفعه؛ لأنه دليل عظيم على عظم محلّه وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته، وحسن تثبته.
تذكرة السامع والمتكلم ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٤٢.

(٤) هو أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد الأزدى: من أئمة اللغة والأدب، ولد فى البصرة، وانتقل إلى عمان، وعاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحى فارس، فقلده (آل ميكال) ديوان فارس، ثم رجع إلى بغداد، وأقام بها حتى وفاته، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب: المقصورة الدريدية الشهيرة، وله ديوان شعرى مطبوع، توفى فى سنة ٣٢١هـ.
تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٣.

ومن كان يهـوى أن يُرى مُتـصدّرًا
ويكره لا أدرى أصـيبت مقـاتلُهْ[١]

وقال ابن عمرَ رضي الله عنه وقد سُئل عن شيءٍ: لا أدرى ثم أتبعها فقال: أتريدون أن تجعلوا ظهـورنا لكم جسورًا فى جهنم أن تقـولوا: أفتانا بهذا ابـنُ عمر[٢]، وقال ابن عمر أيضًا العلم ثلاثة: كتاب ناطقٌ، وسنةٌ ماضيةٌ، ولا أدرى[٣]، وقال بعضـهم: تعلم لا أدرى فإنك إن قلتَ لا أدرى علمـوك حتى تدرى، وإن قلتَ أدرى سألوك حتى لا تدرى، قال شيخ الإسلام النووى كغيره: واعلم أن معتقَد المحقّقين أن قـول العالم لا أدرى لا يضع منزلتَه بل هُو دليلٌ علَىَ عظم محله وتقواه وكـمال معرفـته لأن المتمكن لا يضـرّه عدم معرفـته مسائلَ مـعدودة بل يُستدلّ بقول لا أدرى علَىَ تقواه، وأنه لا يجـازف فى فتواه، وإنّما يمتنع مِن لا أدرى مَن قلّ علمه وقصرت معرفته وضَعُف تقواه، لأنه يخافُ لقصوره أن يسقط من أعيُن الحاضـرين وهذه جَهالة منه فإنَّه بإقـدامه علَىَ الجواب فيـما لا يعلمه يبوء بالإثم العظيم، وهو مجازفٌ لجـهله وقلة دينه، وفى الصحيح: أنه ﷺ قال: الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِس ثَوْبَىْ زُورٍ[٤]، وقد أدّب الله تعـالى العلماءَ بقصة موسى والخـضر عليهما السلام حـين لم يردَّ موسى العلمَ إلى الله تعالى لما سُئل هل أحدٌ فى الأرض أعلم منك[٥].

---

(١) ديوان ابن دريد ١٠٥، وقبله:

جـهلتَ فـعاديت العلوم وأهلهـا
كـذاك يُعـادى العلم من هو جـاهله

(٢) الزهد لابن المبارك ١/١٨.

(٣) المعجم الأوسط ١/٢٩٩، والتمهيد ٤/٢٦٦، وفيض القدير ٤/٣٨٧.

(٤) سنن أبى داود ٤/٢٩٩، والبيان والتعريف ٢/٢٣٨، والديباج ٥/١٦٧، وصفوة الصفوة ١/٢٠٨، والجامع لمعمر بن راشد ١١/٢٤٨.

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٤٣، ولنا فى ذلك فى رسول الله ﷺ أسـوة حسنة، عن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، أىّ البلاد شرٌّ؟ قال: لا أدرى، فلما أتى =

ومنها: ما جرت به العادة أن يقول المدرس عند ختم كلّ درس: والله أعلم[١]، قال ابن جماعة[٢]: الأولى أن يقال قبلَ ذلك كلامٌ يُشعِر بختم الدَّرس كقوله: وهذا آخره، أو ما بعدَه يأتي، ونحو ذلك ليكون قوله: والله أعلم خالصًا، لذكر الله ولقصد معناه، قال[٣]: ولهذا ينبغي أن يستفتح كلّ درسٍ ببسم الله الرَّحمن الرحيم ليكون ذاكرًا لله في بدئه وخاتمته.

ومنها[٤]: ينبغي للمدرّس أن يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة لئلا يزدحموا عند خروجهم، ولأنه إن كان في نفس أحد بقايا سؤَالٍ تأخّر وسأله.

النوع الثالث

آداب يَختصُّ بها المتعلّم وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: آدابه في نفسه، وآدابه مع شيخه، وآدابه في مجلس درسه.

القسم الاول

آدابه في نفسه[٥]

منها: أن يطهّرَ قلبَه من الأدناس ليصلُح لقَبول العلم وحفظه، ويقصُد بتعلُّمه وجهَ الله والعمل وإحياء الشريعة، قال ﷺ: إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ[٦]، قالوا: تطييب القلب للعلم كتطييب الأرض للمزارعة، فبذلك ينمو وتظهر بركته، وإلاّ فلا

= جبريل محمداً ﷺ قال: يا جبريل، أيّ البلاد شرّ؟ قال: لا أدري حتى أسأل ربي، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله له أن يمكث، ثم جاء، فقال: يا محمد سألتني: أيّ البلاد شرّ، وإني قلت: لا أدري، وإني سألت ربي: أيّ البلاد شرّ، فقال: أسواقها.
المستدرك ١/ ٩٠.

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.
(٢) في كتابه: تذكرة السامع والمتكلم ٤٤.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٤٥.
(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٤٥.
(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٦٧، فما بعد.
(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان.

ينمو ولا يزكو، كالزَّرع فى أرضٍ بَوْر غير مُطيّبة، وقال سهل بن عبد الله[١]: حرامٌ على قلبٍ أن يدخلَه النورُ وفيه شىءٌ مما يكره اللهُ عزَّ وجلَّ.

ومنها: أن يغتنم التحصيل وقتَ الفراغ والنَّشاط[٢] وحالَ الشَّباب وقُوَّة البدن ونباهة الخاطر، وقلة الشواغل قبلَ عوارض البطالة وارتفاع المنزلة، روينا عن عمر رضي الله عنه: تفقهوا قبلَ أن تُسَوَّدوا أى تصيروا سادةً فتستحيوا من التعلم[٣]، قال لشافعى رضي الله عنه: تفقه قبلَ أن ترأسَ فإذا رأستَ فلا سبيل إلى التفقه[٤]، وجاء فى الخبر: مَثَلُ الَّذِى يَتَعَلَّمُ العلمَ فِى صِغَرِهِ كَالنَّقْشِ علَى الْحَجَرِ وَمَثَلُ الَّذِى يَتَعَلَّمُ العلمَ فِى كِبَرِهِ كَالَّذِى يَكْتُبُ علَى الماءِ[٥]، وقال ابنُ عباس رضي الله عنه: ما أُوتىَ عالمٌ علمًا إلاَّ وهو شابٌّ[٦]، وهذا باعتبار الغالب، وإلاّ فمن كَبِر لا ينبغى له أن يُحجمَ عن الطلب، فإن الفضل واسعٌ والكرمَ وافرٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (القصص: ١٤) وقال تعالى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ (الشعراء: ٢١) إلى غير ذلك، وقصة القَفّال[٧] واشتغاله فى كِبَره بالعلم

---

(١) هو أبو محمد، سَهْل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَرى: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، والمتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات، وعيوب الأفعال، توفى فى سنة ٢٨٣هـ.
الحلية ١٠/١٩٨، والأعلام ٣/١٤٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧٠.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ١٣٤.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم ١٣٤.

(٥) مجمع الزوائد ١/١٢٥، وفيض القدير ٥/٥٠٩، وكشف الخفاء ٢/٨٦، والفردوس بمأثور الخطاب ٤/١٣٥، واللآلئ المصنوعة ١/١٠٢، وتذكرة الموضوعات ص ٢٢.

(٦) المعجم الأوسط ٦/٢٨٣، ومجمع الزوائد ١/١٢٥.

(٧) هو أبو بكر القفال، عبد الله بن أحمد المروزى: فقيه شافعى، كان وحيد زمانه فقهًا وزهدًا كثير الآثار فى مذهب الإمام الشافعى، له «شرح فروع محمد بن الحداد المصرى» فى الفقه، وكانت صناعته عمل الأقفال، قبل أن يشتغل بالفقه وربما قيل له «القفال الصغير» للتمييز بينه وبين القفال الشاشى (محمد بن على) توفى فى سجستان ٤١٧هـ، وفيات الأعيان ٣/٤٦، والسير ١٧/٤٠٥.

مشهورةٌ معلومةٌ مسطورةٌ[١]، فيا هذا احذر التَّسويفَ فى شبابك والكسل، وسدّ علَىَ كِبَرك باب الرّجاءِ والأمل، واغتنم ما بقى من عمرك، وما أحسنَ قول مَن قال (من البسيط):

بقيةُ العمر عندى ما لها ثمنٌ
وإن مضى غير محمود من الزَّمن
يستدرك المرءُ فيها ما أفات ويحْـ
ـيى ما أمات ويمحو السوءَ بالحسن

ومنها: أن[٢] يقطعَ ما يقدِرُ عليه من العلائق الشاغلة، والعوائق المانعة عن تمام الطلب وكمال الاجتهاد، ويرضى[٣] بما تيسّر من القوت، وبما ستر مثله من اللّباس وإن كان خَلَقًا، فبالصبر علَىَ ضيق العَيش ينال سعة العلم، وتتفجر ينابيعُ الحكمة[٤]، قال الشافعى رضي الله عنه: لا يطلبُ أحدٌ هذا العلم بالمُلك وعزّ النفس فيفلح[٥]، وقال أيضًا: لا يدرك العلم إلاَّ بالصبر علَىَ الذُّل، وقال أيضًا: لا يصلح طلبُ العلمِ إلاَّ لمفلس[٦]، ونقل الخطيب البغدادى[٧] عن بعضهم قال: لا ينال هذا العلم إلاَّ من عطَّل دُكانه، وخرَّب بُستانه، وهجر إخوانه، ومات أقربُ أهله فلم يشهدْ جنازَته[٨]، وهذا كله وإن كان فيه مبالغةٌ فالمقصود

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٦، والسير ١٧/ ٤٠٦ و ٤٠٧، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٥٤.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧٠.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.
(٤) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.
(٥) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.
(٦) تذكرة السامع والمتكلم ٧٢.
(٧) هو أبو بكر، أحمد بن على بن ثابت البغدادى، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المتقدمين، مولده فى (غُزَيّة) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته فى بغداد، رحل إلى مكة، وسمع بالبصرة والدينور والكوفة، وغيرها، وكان فصيح اللهجة، عارفًا بالأدب، يقول الشعر، ولوعًا بالمطالعة والتأليف، توفى فى سنة ٤٦٣هـ.
وفيات الأعيان ١/ ٩٢، والسير ١٨/ ٢٧٠
(٨) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.

به أنه لا بدَّ فيه من جمع القلب، واجتماع الفكر[١]، وقيل أمر بعضُ المشايخ طالبًا بنحو ما رواه الخطيب فكان آخر ما أمره به أن قال: اصبغ ثوبك كيلا يشغلك فكر غسله[٢]، ومما يقال عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: لو كُلِّفتُ شراء بصلة، لما فَهمتُ مسألة[٣]، وقال إمام الحرمين[٤] رحمه الله (من الطويل):

أخي لن تنال العلم إلاَّ بستةٍ
سأُنبيك عن تفصيلها ببيان[٥]
ذكاءٌ وحرص واجتهاد وبُلغَة[٦]
وتلقينُ أُستاذٍ وطولُ زمان

فالعلمُ لا يعطيك بعضه حتى تُعطيه كلك وقد قيل علَى رواية وعُزبة: يشتغل بحقوق الزَّوجة عن إكمال طلب العلم، واحتجَّ بحديث: خَيرُكُمْ بَعْدَ المائَتَيْنِ كُلُّ خفيفِ الْحَاذِ، قيل: يا رسولَ الله ومن خفيفُ الحاذ؟ قال: مَنْ لاَ أهْلَ لَهُ وَلاَ مَال[٧]، قال سفيان الثوري: مَن تزوّج فقد ركب البحرَ فإن وُلد له فقد

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧١.
(٤) هو أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي، ولد في نواحي نيسابور، ورحل إلى بغداد، ومكة، والمدينة، ثم رجع إلى نيسابور، وكان يحضر دروسه كبار العلماء، له مصنّفات كثيرة توفي في سنة ٤٧٨هـ.
وفيات الأعيان ٣/ ١٦٧، والسير ١٨/ ٤٦٨.
(٥) البيتان في تعليم المتعلم للزرنوجي ص ٤٤ وقد نسبهما للإمام علي رضي الله عنه، وانظر ديوانه ص٢٠١، ونسب البيتان أيضًا للإمام الشافعي، انظر ديوانه (جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي) ص ٨١
(٦) قيل عن السلف هكذا: وغُربةٌ من التغريب عن الأهل، لأن الفكرة إذا تورَّعت قصرت عن إدراك الحقائق، وقيل: وعُزْبة من العزوبية وهو صحيحٌ أيضًا لئلا يشتغل بحقوق الزَّوجة عن إكمال طلب العلم، وقيل: وبُلْغَة من السَّعة في المال، ولهذا قال الشافعي كما تقدَّم: لو كلفتُ شراءَ بصلة، ما تعلمت مسألة، فإذا كان معه بلغةٌ فكأنه ما تكلّف.
(٧) شعب الإيمان ٧/ ٢٩٢، والزهد وصفة الزاهدين ١/ ٦١، انظر ما قيل عن هذا الحديث حاشية [illegible] في زيادة وفضل، وكتاب العلم للنووي صـ ١٠٣.

كُسر[١] به، وعن إبراهيمَ بن أدهم[٢]: مَن تعوَّدَ أفخاذَ النساء لم يُفلح[٣]، وعن بشر الحافى[٤]: مَن لم يحتج إلى النساء فليتقِ اللهَ ولا يألف أفخاذهن[٥]، قال النووى[٦] رحمه الله: وهذا كله موافقٌ لمذهبنا إن لم يحتج إلى النكاح استُحبّ له تركه وكذا إن احتاج وعجز عن مُؤْنته، وفى الصحيحين عن أُسامةَ بن زَيد[٧] رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدى فتْنَةً هِىَ أضرَ علَىَ الرِّجَالِ مِنَ النِّساء»[٨]، وقال ﷺ: «الدُّنْيَا خَضِرةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتخلفُكُمْ فِيهَا فينظر كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا اللهَ وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أوَّل فِتْنَةِ بنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنَ النِّسَاء»[٩].

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٧٢، وكتاب العلم للنووى صـ ١٠٣.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم بن منصور، التهيمى البلخى: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ، فتفقّه ورحل إلى بغداد، وجال فى العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علمائها، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة فى قتال الروم، ومات فى بلاد الروم سنة ١٦١هـ.
الحلية ٧/ ٤٢٦، وفوات الوفيات ١/ ١٣.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ١٢، وكشف الخفاء ٢/ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٨ و ١٠/ ٤٧٢، وكتاب العلم للنووى صـ ١٠٣.

(٤) هو أبو نصر، بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى، المعروف بالحافى: من كبار الصالحين، له فى الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧هـ، تاريخ بغداد ٧/ ٦٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٤.

(٥) كتاب العلم للنووى صـ ١٠٣.

(٦) انظر هذا القول فى كتابه العلم صـ ١٠٣.

(٧) هو أبو محمد، أسامة بن زيد بن حارثة: صحابى جليل، ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله يحبه حبًا جمًّا، وهاجر مع النبى ﷺ إلى المدينة، وأمَّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفَّرًا موفقًا، مات فى المدينة سنة ٥٤هـ، السير ٢/ ٤٩٦، والأعلام ١/ ٢٩١.

(٨) البخارى ٥/ ١٩٥٩، ومسلم ٤/ ٢٠٩٨، وصحيح ابن حبان ١٣/ ٣٠٨، وسنن الترمذى ٥/ ١٠٣، سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٢٥ وتحفة الأحوذى ٥/ ٢٣٤، ٨/ ٥٣، وكتاب العلم للنووى صـ ١٠٣، ١٠٤.

(٩) المعجم الأوسط ٤/ ١٤٠، ومسند أحمد ٣/ ٢٢ و ٨٤، وشعب الإيمان ٦/ ٣١٠، وكشف الخفاء ١/ ٩٢.

ومنها: أن يتورّعَ فى جميع[١] شأنه، ويتحرّى الحلالَ فى طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، ليستنيرَ قلبُه ويصلُحَ لقَبول العلم، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحِلّ شرعًا مهما أمكنه التورُّع، ولم تُلْجِئْه حاجة بل يطلب الرّتبةَ العلية، ويقتدى بالسلف[٢] الصالح فى التورّع عن كثيرٍ مما كانوا يُفتون بجَوازه، وأحقُّ من اقتُدِىَ به فى ذلك رسول الله ﷺ حيث لم يأكلِ التمرةَ التى وجدَها فى الطّريق خشيةَ أن تكون من الصّدقة[٣].

وينبغى له أن يستعمل الرُّخَص فى مواضعها عند الحاجة إليها ووجودِ سببها ليُقْتَدى به، فإن الله تعالى يحبُّ أن تؤْتى رُخَصُه كما تؤْتى عزائمه[٤].

ومنها: أن يترُك العِشرة[٥]، فإن تركها من أهمّ ما ينبغى لطالب العلم، ولا سيما لغير الجنس، وخصوصًا لمن كَثُر لَعِبُهُ وقلَّت فكرته، فإنَّ الطبعَ سرَّاق، وآفة العِشرة ضَياعُ العمر بغير فائدة، وذهابُ العِرض والدّين والمال، ولا يخالط طالبُ العلم إلاَّ من يفيدُه أو يستفيدُ منه، فإن عاشر من يُضيّعُ عمرَه معه بلا فائدة فليتلطّف فى قطع عِشرته قبلَ تمكنها، فإن الأُمور إذا تمكنت عَسُرَتْ إزالتها[٦] ومن الجارى علَى ألسنة الفقهاء بل هو من القواعد: الدَّفع أسهل من الرَّفع[٧]، فإن احتاج إلى المصاحبة فليكن الصاحبُ صالحًا دَيِّنًا تقيًّا ورِعًا ذكيًّا، كثير الخير قليلَ الشرّ، حسن المداراة، قليل المماراة، إن نسى ذكَّره، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضجر صبّره[٨]، ومما يُنسب إلى الإمام على بن أبى طالب (من مجزوء الوافر):

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ٧٥.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم ٧٦.
(٣) تذكرة السامع والمتكلم ٧٦.
(٤) تذكرة السامع ٧٦.
(٥) تذكرة السامع ٨٣.
(٦) تذكرة السامع ٨٣.
(٧) تذكرة السامع ٨٣.
(٨) تذكرة السامع ٨٤.

فلا تصحب أخا الجهل
وإياك وإياه[١]
فكم من جاهل أردى
حليمًا حين واخاه
يُقاس المرءُ بالمرءِ
إذا ما هو ما شاهُ
وللشيءِ علَى الشيءِ
مقاييسٌ وأشباه

ولبعضهم (من الرجز):

* إن أخاك الصدقَ مَن كان معكْ *
* ومن يضرُّ نفسه لينفعكْ[٢] *
* ومن إذا ريبُ زمانٍ صدعكْ *
* شتَّتَ شملَ نفسه ليجمعكْ *

ومنها: الحلم والأناة والصبر جُهْدَه مطلقًا فى كلّ أحواله، وأن يكون حريصًا علَى التعلم مواظبًا عليه فى جميع أوقاته: ليلاً ونهارًا، حضرًا وأسفارًا، ولا يذهب شيئًا من أوقاته فى غير العلم إلاَّ بقدر الضرورة لأكلٍ ونوم قدرًا لا بُدَّ منه، واستراحة يسيرة لإزالة الملل وأداءِ حقّ الزَّوجة[٣]، ومؤانسة الزائر وتحصيل القوت وغيره مما يحتاج إليه، وليس بعاقل مِن أمكنه درجة وَرَثَة الأنبياءِ ثمَّ فوتّها.

---

(١) ديوان الإمام على صـ ٢٠٥، وتذكرة السامع ٨٤.

(٢) البيتان للإمام على كما فى ديوانه ١٤٢، وشرح نهج البلاغة ١١٣/١٨، وديوان المعانى ١٢٣/١، وانظر تذكرة السامع ٨٥.

(٣) تذكرة السامع ٢٧.

ففى صحيح مسلم عن يحيى بن أبى كَثِيرٍ[١]: لا يُستطاع العلمُ براحة الجسم[٢] وفى الحديث: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمكارِهِ[٣].

وكما قيل:

* ولا بُدَّ دُون الشَّهد من إِبَرِ النَّحل[٤] * (بيت رجز)

وكما قيل (من البسيط):

لا تحسب المجد تمراً أنت تأكله

لن تبلُغ المجد حتى تعلقَ الصَّبِرا[٥]

ومنها: أن تكون همَّته عاليةً فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير، ولا يسوّف فى اشتغاله، ولا يؤَخّر تحصيلَ فائدة وإن قلّت، وعن الرَّبيع[٦] قال: لم أرَ الشافعىَّ آكلاً بنهار ولا نائمًا بليل لاهتمامه بالتَّصنيف[٧].

ومنها: أن يحذرَ فى ابتداء أمره من الاشتغال فى الاختلاف[٨] بين العلماءِ

---

(١) هو أبو نصر ابن أبى كثير، يحيى بن صالح الطائى بالولاء، اليمامى: عالم أهل اليمامة فى عصره، من أهل البصرة، يقال: أقام عشر سنين فى المدينة يأخذ عن أعيان التابعين، وسكن اليمامة، فاشتهر، وكان من ثقات أهل الحديث، رجّحه بعضهم على الزهرى، توفى فى سنة ١٢٩هـ.

السير ٦/٢٧، وتهذيب التهذيب ١١/٢٦٨.

(٢) تذكرة السامع ٢٧.

(٣) تذكرة السامع ٢٧.

(٤) عجز بيت لأبى الطيب المتنبى وصدره:

* تريدين إدراك المعالى رخيصة *

(٥) البيت بلا نسبة كما فى حلية الأولياء ١٠/٣٠٤، وطبقات الشافعية الكبرى ١/٦٣، ونفح الطيب ٢/٥٠٥، وأمالى القالى ١/١١٢، ونوادر المخطوطات ٢/١٥٧.

الصبر: عصارة شجر مرّ، ولا يُسكَّنُ إلا فى ضرورة الشعر.

(٦) تذكرة السامع ٢٨، والربيع هو ابن سليمان المرادى، صاحب الشافعى، وناقل علمه.

(٧) تذكرة السامع ٢٨.

(٨) تذكرة السامع ١١٦.

مُطلقًا فى العقليَّات[١] والسمعيات[٢]، فإنه يُحيِّرُ الذِّهنَ ويُدْهشُ العقلَ، بل يُتْقِنُ أوَّلاً كتابًا واحدًا فى فنّ واحد أو كتبًا فى فنونٍ كما مرّ إن احتملَ عقله ذلك[٣]، ولا ينتقل من كتاب حتى يُتقنه[٤]، ويحذر من التنقل من كتابٍ إلى كتاب قبل إتقانه من غير موجب فإنَّه علامةٌ الضَّجر وعدم الفَلاح[٥]، أما من تحققت أهليَّتُه وتأكدت معرفته فالأولى له أن لا يدَعَ فنًا من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعها إلاَّ وينظر فيه يطلع به علَى مقاصده وغايته، ثمَّ إن ساعده العمر طلب التَّبحُّر فيه، وإلاَّ اشتغل بالأهمّ فالأهمّ[٦]، فإنَّ العلومَ متقاربةٌ وبعضها مرتبطٌ ببعض، والشخصُ يعادى ما يجهله ولبعضهم (من الطويل):

تفنَّن وخُذ من كلّ علمٍ فإنما
يفوقُ امْرُؤٌ فى كلّ فنٍ له علم
فأنتَ عدُوٌّ للذى أنت جاهلٌ
به ولعلمٍ أنت تَفْقَهُه سِلْمُ

---

(١) قال أبو إبراهيم المزنى: كنت يومًا عند الشافعى أسائله عن مسائل بلسان أهل الكلام، قال: فجعل يسمع منى وينظر إلىّ، ثم يجيبنى عنها بأخصر جواب، فلما اكتفيت، قال لى: يا بنى، أأدلك على ما هو خير لك من هذا، قلت: نعم، فقال: يا بنى، هذا علم إن أنت أصبت فيه لم تؤجر، وإن أخطأت فيه كفرت، فهل لك فى علم إن أصبت فيه أجرت، وإن أخطأت لم تأثم، قلت: وما هو؟ قال: الفقه، فلزمته، وتعلمت منه الفقه، ودرست عليه.
طبقات الشافعية ١/٢٤١.

(٢) قال الخطيب: كان أبو ثور أولاً يتفقه بالرأى، ويذهب إلى قول أهل العراق، حتى قدم الشافعى بغداد، فاختلف إليه، ورجع عن الرأى إلى الحديث، وقال أبو حاتم: هو رجل يتكلم بالرأى فيخطئ ويصيب، وليس محله محل المسمعين فى الحديث، وأبو ثور هو إبراهيم بن خالد الكلبى البغدادى الفقيه صاحب الإمام الشافعى، وقد كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وفضلاً، مات فى بغداد شيخا سنة ٢٤٠هـ.
طبقات الشافعية ١/٢٢٨.

(٣) تذكرة السامع ١١٦.
(٤) تذكرة السامع ١١٦.
(٥) تذكرة السامع ١١٩.
(٦) تذكرة السامع ١٢٠، وانظر طبقات الشافعية ١/٢٤٣.

وللخليل[١] بن أحمد فى أخيه لما تعقب عليه فنَّ الشعر (من الكامل):

لو كنتَ تـعلم مـا أقـولُ عـذَرتنى
أو كنتُ أجـهلُ ما تـقول عـذلتُكا[٢]
لكن جـهـلتَ مـقـالتى فـعـذلتنى
وعلمـتُ أنك جـاهلٌ فـعـذرتكا

الناسُ أعداءٌ لمـا جهلوا، قـال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف: ١١) قال الغزالى[٣]: العمر لا يتسع لجـميع العلوم، فالحزم أن يأخذَ من كلّ عـلمٍ أحسنهَ، ويصرف همـته وجُلَّ عـمره فى العلوم النافـعة فى الآخرة، وأشـرف العلوم وغايتـها علم معـرفة الله، وهو بحـرٌ لا يدرك غوره، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الذين يلونَهم.

ومنها: أن لا يحـملَ نفسـه في الاشتـغال مـا لا طاقة له به مـخافـة الملل والسآمة، بل يكون أمره قصدًا، وهذا يختلف باختلاف الناس، وكلّ إنسان أبصر بنفسه[٤].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدى: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوى، ولد ومات فى البصرة ١٧٠هـ، إنباه الرواة ١/ ٣٤١، والأعلام ٢/ ٣١٤.

(٢) جامع بيان العلم ١/ ٥٧٢.

(٣) فاتحة العلوم ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) تذكرة السامع ٢٨.

القسم الثانى

آدابه مع شيخه وقدوته. وما يجب عليه من تعظيم حرمته[١]

فمنها: ينبغى للطالب أن يقدم النظر ويستخيرَ الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسبُ حسن الأخلاق والآداب منه وليكن ممن كَمُلَت أهليتُه، وظهرت دِيانته، وتحقّقت معرفته وعُرفت عفته، واشتهرت صيانته وسيادته، وظهرت مودته وحسن تعليمه، ولا يرغب الطالب فيمن زاد علمهُ ونَقص ورعُه أو دينُه، فعن السَّلف: هذا العلم دِينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم[٢]، قالوا ولا يأخذ العلم ممن كان أخذه له من بُطُون الكتب من غير قراءة علَىَ شيوخ أو علَىَ شيخ حاذق له معرفة تامة ولو بعلم واحد ومشاركةٌ فى بعض العلوم خوفًا من التصحيف والغلط، وقال الشافعى: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام[٣]، وقيل من تفقه من بطون الكتب بدّل الأحكام، ومن طبّ من بطون الكتب قتل الأنام، وليحذر[٤] من أن يتقيد الطالب بالمشايخ المشهورين، وترك الأخذ عن الخاملين، فقد عدَّ الغزالى[٥] ذلك من الكِبْر علَىَ العلم، وجعله عين الحماقة لأنَّ الْحِكْمَةَ ضالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَلْتَقِطُها حيث[٦] وجَدَها، ويَغْتَنِمُها حيث ظَفِر بها، ويتقلدُ المنةَ ممنْ ساقها إليه، وربما يكون الخامل له بركة ونفعٌ فيحصل به تمام النفع[٧].

ومنها: أن ينظر معلمَه بعين الاحترام، والإجلال والإكرام، ويعتقد فيه كمال

---

(١) انظر هذا الباب فى تذكرة السامع ٨٥ فما بعد.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١/ ٤٦، وكشف الخفاء ١/ ٣٠٢، والكفاية فى علم الرواية ١ ١٢١.

(٣) تذكرة السامع ٨٧.

(٤) تذكرة السامع ٨٧

(٥) تذكرة السامع ٨٦

(٦) تذكرة السامع ٨٦

(٧) تذكرة السامع ٨٦

الأهلية فإن ذلك ينفعه[١]، وكان بعض السلف[٢] إذا توجه إلى شيخه تصدَّق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تُذهب بركة علمه[٣] مني، وقال الشافعي رضي الله عنه: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحًا رفيقًا هيبةً له لئلا يسمع وقعها[٤]، وقال الرّبيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماءَ والشافعي ينظر إليَّ هيبةً له[٥]، قال حمدان بن الأصبهاني[٦]: كنت عند شريك[٧] فأتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه وأقبل علينا، ثم عاد فعاد شريك بمثل ذلك، فقال ابن الخليفة: أتستخفّ بأولاد الخلفاء؟ قال: لا ولكن العلم أجلُّ عند الله من أن أضيعه[٨] فجثى علَىَ ركبتيه فقال شريك: هكذا يُطلَب العلم[٩]، روى أن يحيى بن سعيد[١٠] القطان كان يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه علي بن المديني[١١]

---

(١) تذكرة السامع ٨٨

(٢) تذكرة السامع ٨٨

(٣) تذكرة السامع ٨٨

(٤) تذكرة السامع ٨٨

(٥) تذكرة السامع ٨٨

(٦) هو حمدان بن عليّ الأصبهاني.

(٧) هو أبو عبد الله، شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي: عالم بالحديث، فقيه، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته، كان قاضيًا، وكان عادلاً في قضائه، مولده في بخارى، ووفاته بالكوفة سنة ١٧٧هـ، تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٩، والأعلام ٣/ ١٦٣.

(٨) أدب الإملاء والاستملاء ١٣٣.

(٩) أدب الإملاء والاستملاء ١٣٣، وتذكرة السامع صـ ٨٨، وكتاب العلم للنووي صـ ١٠٥ والسير ٨/ ١٨٤.

(١٠) أبو سعيد، يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي: من حفّاظ الحديث، ثقة حجّة، من أقران مالك وشعبة، من أهل البصرة، كان يفتي بقول أبي حنيفة. قال أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ بعيني مثل يحيى القطان» توفي في سنة ١٩٨هـ، تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٥، وتذكرة الحفّاظ ١/ ٢٧٤.

(١١) هو أبو الحسن، علي بن عبد الله بن جعفر، المديني، البصري: محدّث مؤرخ، كان حافظ عصره، وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث، له نحو مائتي مصنف، ولد بالبصرة، ومات بسامراء سنة ٢٣٤هـ، تذكرة الحفّاظ ٢/ ١٥، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٩.

والشاذكونى[١]، وعمرو بن[٢] علىّ، وأحمد بن حنبل[٣]، ويحيى بن معين[٤] وغيرُهم يسألونه عن الحديث وهم قيام علَىَ أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحدٍ منهم اجلس ولا يجلسون هيبةً له وإعظامًا، قلت: وهذا القيام بين يديه لله لا له، وإنما لِمَا خصه الله من العلم وهيبته ومنحته، فلا يدخل فى قوله ﷺ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ النَّاسُ لَهُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[٥]، لأنه لا يحبُّ ذلك لنفسه وإنما للسرّ المودع فيه من العلم، ولتهذيب أخلاق الطلبة وصونهم عن التكبر وتخلقهم بالتواضع[٦] والله أعلم.

ومنها: أن يعرف للمعلم[٧] حقه، ولا ينسى له فضله ويتواضع[٨] له ويذل

---

(١) هو أبو أيوب، سليمان بن داود بن بشر المنقرىّ البصرىّ، المعروف بالشّاذكُونىّ: الحافظ الشهير، قال عنه السيوطى: من أفراد الحافظين إلا أنه واه، جالس الأئمة والحفاظ ببغداد، ثم خرج إلى أصبهان فسكنها، وانتشر حديثه بها، وكان ذا هيئة حسنة، كما كان يتهم بشرب النبيذ وغير ذلك، وكان يتهم بوضع الحديث، مات بالبصرة سنة ٢٣٤هـ، طبقات الحفاظ ٢٣٦، والسير ١٠/ ٦٧٩.

(٢) هو أبو حفص، عمرو بن على بن بحر السقّاء الفلاّس: باحث من أهل البصرة، سكن بغداد، كان من حفّاظ الحديث الثقات، ففى أصحاب الحديث من يفضله على ابن المدينى، مات فى سر من رأى سنة ٢٤٩هـ، تهذيب التهذيب ٨/ ٨٠، والأعلام ٥/ ٨٢.

(٣) الإمام الكبير، صاحب المذهب، وصاحب المسند.

(٤) أبو زكريا، يحيى بن معين بن عوف بن زياد البغدادى: من أئمة الحديث ومؤرخى رجاله، نعته الذهبى بسيّد الحفّاظ، وقال العسقلانى: إمام الجرح والتعديل، وقال ابن حنبل: أعلمنا بالرجال، خلف له أبوه ثروة كبيرة، فأنفقها فى طلب الحديث، عاش فى بغداد، ومات بالمدينة حاجًا سنة ٢٣٣هـ.

تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧، وتهذيب لتهاذيب ١١/ ٢٨٠.

(٥) رواه أبو داود رقم ٥٢٢٩ فى الأدب، والترمذى رقم ٢٧٥٦ فى الأدب، ومجمع الزوائد ٨/ ٤٠، وفيض القدير ٦/ ٤١، والجامع لأخلاق الراوى ١/ ٤٠٠.

(٦) تفسير القرطبى ٩/ ٢٦٦، وفتح البارى ١١/ ٥٠.

(٧) تذكرة السامع ٩٠، وقد قال قرّة بن خالد: كان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا ما دام عكرمة بالبصرة.

(٨) تذكرة السامع ٩٠

ويعلم أن ذله لشيخه عزٌّ، وخضوعَه له فخر. وعظيم حرمته مثوبةٌ، والتشمير في حدمته شرفٌ، قال ﷺ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وتعلموا للعلم السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَتَوَضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ[١]، وأخذَ ابنُ عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومزيته بركاب زيدِ بن ثابت[٢] رضي الله عنه وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا[٣]، ويقال: إن الشافعي رحمه الله عوتب علَىَ تواضعه للعلماءِ فقال (من الطويل):

أُهِيْنُ لهمْ نَفْسي فهم يكرمونها
ولن تُكْرَمَ النَّفْسُ التي لا تُهينها[٤]

ومنها: أن لا يُنكرَ عليه، ولا يتأمَّر عليه ولا يشيرَ عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب منه، (من الطويل):

وإن عناءً أن تعلّم جاهلاً
فيزعُم جهلاً أنه منك أفهم[٥]

بل ينقاد إليه في أموره كلها، ويُلقي إليه زِمام أمره، ويُذعن لنُصحه، ويتحرى رضاه، ولا يختار إلاَّ اختياره، ويأتمر بأمره، ولا يخرج عن رأيه، وليدع رأيه فخطأُ مُرشده أنفع له من صوابه في نفسه، وفي قصة موسى والخضر تنبيه علَىَ ذلك[٦]، وبالجملة فيكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر الناصح، بل هذا أولى لتفاوت ثمرتيهما والله أعلم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٢٥.

(٢) هو أبو خارجة، زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي: صحابي، من أكابرهم، كان كاتب الوحي، ولد في المدينة، ونشأ في مكة، توفي في سنة ٤٥هـ، ولما مات قال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة، الإصابة ترجمة رقم ٢٨٨٠.

(٣) تذكرة السامع ٨٧، والمستدرك ٣/ ٤٢٣، والإصابة، وصفة الصفوة ١/ ٢٩٥ وبقية الخبر: «فأخذ زيد كفّه وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا...».

(٤) البيت في ديوانه ص٨٩، وانظره في آداب الشافعي ومناقبه ١٢٧، والجامع لأخلاق الراوي ١/ ٥٥٢، وحلية الأولياء ٩/ ١٤٨.

(٥) البيت لصالح بن عبد القدوس. وانظر جامع بيان العلم ١/ ٤٤٧.

(٦) سورة الكهف، الآية ٦٩، وانظر أيضًا تذكرة السامع ٨٨.

ومنها: أن يُبجّله فى خطابه فى غيبته وحضوره، ولا يُخاطبه بتاء الخطاب وكافه، ولا يُناديه من بُعد، بل يقول: يا سيّدى[١] ويا أُستاذى أو يا أيها العالم أو الحافظ ويُخاطبه بصيغة الجمع نحو ما تقولون فى كذا، وما رأيكم فى كذا، وقلتم رضى الله عنكم، وأجزتم رضى الله عنكم، ولا يُسميه فى غيبته باسمه إلاّ مقرونًا بما يُشعر بالتعظيم كقوله: قال الشيخ أو شيخُنا أو سيدُنا أو شيخ الإسلام أو حُجة الإسلام ونحو ذلك[٢]، فمراعاة حرمته وهَديه فى غيبته وبَعْدَ موته فلا يغفل عن الدُّعاء له مُدَّة حياته، ويرد غيبته ويغضَب لها، فإن عجز عن ذلك قام وفارق المجلس[٣] الذى يُغتاب فيه شيخُه، ويُراعى ذُرّيته وأقاربه بعد موته، ويتعاهد زيارة قبره والاستغفارَ له والترحمَ عليه والصدقة عنه، ويسلك مسلكه، ويراعى فى الدّين عادتَه، ويقتدى بحركاته وسكناته فى عباداته وعاداته، ويتأدَّب بآدابه[٤]، ويشكر الشيخ إذا نصحه فى أمر نَقيصة صدرت منه، وعلَىَ فضيلة نبهه عليها وشوهدت منه، ويعدّ ذلك من نعم الله عليه من الشيخ باعتناء الشيخ به ونظره إليه.

ومنها: أن يصبر علَىَ هفوة تصدر من شيخه أو جفوة أو سوء خُلق، ولا يصدُّه ذلك عن مُلازمته وحُسن عقيدته واعتقاد كماله، ويتأوّل أفعاله التى ظاهرها مذموم علَىَ أحسن تأويل، فما يعجز عن ذلك إلاّ قليل التوفيق، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة والاستغفار[٥]، وينسب الموجب إليه، ويوقع العتبَ عليه، فإن ذلك أبقى لمودَّة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع فى الدُّنيا والآخرة[٦]، فمن صَبَر علَىَ ذُلّ التعليم آل أمره إلى عزّ الدُّنيا والآخرة، ومن لم

---

(١) تذكرة السامع ٨٩.
(٢) تذكرة السامع ٨٩.
(٣) تذكرة السامع ٩٠.
(٤) تذكرة السامع ٩٠.
(٥) تذكرة السامع ٩١.
(٦) تذكرة السامع ٩١.

يصبر بقى عمرَه فى غاية الجهالة[١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ذللتُ طالبًا فعززت مطلوبًا[٢] ولبعضهم (من الكامل):

فاصبر لدآئك إن أهنتَ طبيبه
واصبر لجهلك إن جَفَوتَ مُعلّما[٣]
إنّ المعلم والطبيبَ كلاهما
لا ينصحان إذا هما لم يُكرَما

قال الشافعى رضي الله عنه: قيل لسفيان بن عُيَينة: إن قومًا يأتونك من أقطار الأرض تغضبُ عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك فقال للقائل: هم حمقاءُ إذًا إن تركوا ما ينفعُهم لسوء خُلُقى[٤].

ومنها: أن لا يدخل[٥] علَىَ الشيخ فى غير المجلس العام بغير إذنه سواء كان الشيخ وحده أو معه غيره، فإن استأذن ولم يأذن له انصرف، ولا يكرر الاستئذان، فإن لم يعلم الشيخ يكرر ثلاثًا أو ثلاث طرقات للباب، وليكن طرقُ الباب خفيفًا بقدر ما يَسمع، وإن أذن وكانوا جماعةً تقدَّم أفضلهم وأسنّهم للدُّخول ثم يسلم الأفضل فالأفضل.

ومنها: أن يجتهد علَىَ أن يسبق فى الحضور إلى المجلس قبل حضور الشيخ ويحمل نفسه علَىَ ذلك وإن انتظره علَىَ باب داره ليخرج ويمشىَ معه إلى المجلس فهو أولى، ولا يتأخر بحيث يجعل الشيخ فى انتظاره، فإن فعل ذلك من غير ضرورة عرّض نفسه للذّم، وإذا دخل[٦] علَىَ الشيخ فليدخل كامل الهيئة

(١) تذكرة السامع ٩١.
(٢) تذكرة السامع ٩١.
(٣) تذكرة السامع ٩١، والتمثيل والمحاضرة ١٦٤. ومحاضرات الأدباء ١/٥٣.
(٤) تذكرة السامع ٩١ ـ ٩٢.
(٥) تذكرة السامع ٩٣ ـ ٩٤.
(٦) تذكرة السامع ٩٥.

فارغ القلب من الشواغل، مُنشرح الصدر، صافيَ الذّهن لا فى حال نُعاس أو غضب أو جوع أو عطش، متطهرًا نظيفًا مُتَسوكًا مُزيلاً روائحه الكريهة، ولا يقرأ علَىَ الشيخ عند شغل قلبه وملله ونُعاسه وجوعه وعطشه واستيفازه وألمه وقائلته ونحو ذلك مما يمنعه من استيفآء الشَّرح، ومتى[١] دخل علَىَ الشيخ فى غير المجلس العام وعنده من يتحدّث معه فسكتوا عن الحديث، أو دخل الشيخ ليصلى أو يقرأ أو يطالع أو يكتب ولم يبدأه بكلام فليسلم ويخرج سريعًا إلاَّ أن يأمره الشيخ بالمكث[٢]، فإذا مكث فلا يُطيل المكث خشية أن يدخل فى عموم من شَغَل مشغولاً بالله أدركه المقت فى الوقت، وإذا حضر مكان الشيخ فلم يجده انتظره ولا يفوّت علَىَ نفسه درسه، وإن كان نائمًا صبر حتى يستيقظ[٣]، وروى أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يجلس فى طلب العلم علَىَ باب زيد ابن ثابت وهو نائم فيقال له: ألاَ نوقظه لك؟ فيقول: لا[٤]، وكذلك كان السلف يفعلون[٥].

ومنها: أن لا يطلب[٦] من الشيخ وقتًا يقرأ فيه وهو عليه مشقٌّ، أو لم تجر عادته بالإقراء فيه وإن كان رئيسًا، لما فيه من الترفع والحمق علَىَ الشيخ والطلبة، وربما استحى الشيخ منه وأقرأه وعطّل غيره بسببه فلا يُفلح، فإن أشار الشيخ عليه بوقت خاصّ فلا بأس[٧]، وأن يجلس بين يديه[٨] متأدبًا بسكون وإطراق رأس وخضوع وتواضع وخشوع وجلوس الافتراش أو التورُّك، ويَحسُن هُنا الإقعاءُ المستحب علَىَ وجهٍ فى الجلوس بين السجدتين فى الصلاة، وهو أن يفترش قدميه ويجلس علَىَ بطونهما، ويتعاهد تغطية أقدامه وإرخاءَ ثيابه[٩]،

(١) تذكرة السامع ٩٥.
(٢) تذكرة السامع ٩٥.
(٣) تذكرة السامع ٩٦.
(٤) تذكرة السامع ٩٦.
(٥) تذكرة السامع ٩٦.
(٦) تذكرة السامع ٩٦.
(٧) تذكرة السامع ٩٧.
(٨) تذكرة السامع ٩٧.
(٩) تذكرة السامع ٩٩.

ولا يستند[١] بحضرة الشيخ إلى جائط أو مِخدّة، ولا يعطى الشيخ جنبه ولا ظهره، ولا يجعل يديه ماسكة وراء ظهره، ولا يضع رِجلَه أو يده أو شيئًا من بدنه أو ثيابه علَىَ ثياب الشيخ أو وِسادته أو سجادته، قال بعضهم: ومن تعظيم الشيخ أن لا يجلس إلى جانبه ولا علَىَ مُصلاّه، وإن أمره شيخُه بذلك فلا يفعله إلاّ إذا جزَمَ عليه جزمًا تشُقّ عليه مخالفتُه، فيمتثل أمره ثم يعود إلى ما يقتضيه الأدب[٢]، هذا وقد تكلم الناس فى أى الأمرين أولى: امتثال الأمر، أو سلوك الأدب[٣]، وكان مذهب أبى بكر وعلى ﷺ الثانى، ومذهب عبد الرحمن[٤] بن عوف ومعاذ بن جبل ﷺ الأول، وقصصهم مشهورة، قال شيخ الإسلام البدر ابن جماعة[٥]: والذى يترجح التفصيل، فكل علَىَ قدر مقامه، فأبو بكر وعلىٌّ مقامهما المراجعة فى الأمر، وعبد الرّحمن ومعاذ بن جبل مقامهما امتثال الأمر لا المراجعة، وأيضًا صاحب الأدب جبره حاصل، وصاحب امتثال الأمر قد يقصد جبره وإظهار احترامه والاعتناء به.

ومنها: أن يلقى السمع وهو شهيد لما يلقيه الشيخ، بحيث لا يُحوِجه إلى إعادة الكلام[٦]، ولا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالاً وفوقًا وتحتًا وأمامًا ووراء من غير ضرورة، ولا يضطرب لصيحة يسمعُها، ولا يتكلم بيديه إلى وجه الشيخ وصدره ولا يعبث بهما، ولا يضع يده علَىَ لحيته أو فمه، أو يعبث بها فى أنفه، ولا يشبك أصابعه، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، ولا يبصق ولا يمتخط ولا

(١) تذكرة السامع ٩٨.
(٢) تذكرة السامع ١٠٠.
(٣) تذكرة السامع ١٠٠.
(٤) هو أبو محمد، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى القرشى: صحابى، من أكابرهم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من الأجواد العقلاء، وأحد السابقين إلى الإسلام، توفى فى المدينة سنة ٣٢هـ، الإصابة ترجمة رقم ٥١٧١.
(٥) تذكرة السامع ١٠٠.
(٦) تذكرة السامع ٩٧.

يَنْخَع ما أمكنه، وإذا كان كذلك فليأخذها بمنديل ونحوه من فمه، ولا يتجشأ ولا يتمطّى، ولا يكثر التثاؤب، وإذا تثاءب ستر فاه بعد رده جُهده، وإذا عطس خفض صوته جُهده وستر وجهه بمنديل ونحوه، ويكون ساكنًا مُطمئنًا وقورًا وَقُرًا وذلك لا يخفى علَىَ من له أدنى أدب طبيعى.

ومن تتمّات ما نحن فيه: أنه لا يُسارر فى مجلس شيخه ولو فى مسألة، ولا يغمز أحدًا، ولا يُكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يَحكى ما يُضحَك منه أو ما يتضمّن سوء أدب، ولا يتكلّم بما لم يسأله شيخه عنه، ولا يسأل شيخه ما لم يستأذنه أولاً، ولا يَضحَك من غير عجب دون الشيخ، فإن غلبه الضَّحِك تبسم بغير صوت، ولا يَغتب أحدًا فى مجلسه، أو ينمّ له عن أحدٍ، أو يوقع بينه وبين أحد بنقل ما يسوؤه كاستنقاص به وتكلم فيه، أو يقولُ له فلانٌ يودّ أن لو أقرأُ عليه كالحاثّ له فى أمره، وتركتُ ذلك لأجلك، ففاعل ذلك مع كونه ارتكب مكروهًا أو حرامًا أو كبيرةً مستحق للزجر والإهانة، والطرد والإبانة، وقد جاء عن على ﷺ: إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تُعْنِتَه فى الجواب، ولا تُلحَّ عليه إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كَسِل، ولا تشيرن إليه بيدك، ولا تَغمزه بعينك ولا تغمز بعينك غيره، ولا تُسارّ فى مجلسه، ولا تطلُب زَلّته، وإن زل فاقبل معذرته، وأن لا تقول: قال فلان خلاف قولك، وأن تحفظَه شاهدًا وغائبًا، وأن تعُمّ القومَ بالسلام، وأن تخُصه بالتحية، وأن تجلس بين يديه، وعليك أن توقره لله تعالى، وإن كانت له حاجة سبقتَ القومَ إلى خدمته، وأن لا تَمل من طول صُحبته، وإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة[1].

ومنها: أن يحسن خطابه مع الشيخ ما أمكنه[2]، ولا يقول له: لِمْ؟ ولا

(١) جامع بيان العلم وفضله ٩٥، وتذكرة السامع ١٠٠.
(٢) تذكرة السامع ١٠٢.

نُسلّم، ولا مَن نَقل هذا؟ ولا أين موضعه؟ ولا يقل المحظوظ والمنقول غير هذا وشبه ذلك، فإن أراد استفادة أصله أو مَن نقله، فيراجعه بلطف في مجلس آخر بحسن الأدب ولطف العبارة، وإذا أصرَّ الشيخ علَىَ قولٍ أو دليلٍ ولم يَظهر له، أو أصرّ الشيخ علَىَ خلاف الصواب سهواً، فلا يُغيّر وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكِر لما قاله، بل يأخذه ببشرٍ ظاهر وإنْ لم يكن الشيخ مُصيبًا لغَفلة أو سهوٍ أو قصورِ نظرٍ في تلك الحال، فإن العِصمة في البَشَر للأنبياء عليهم السلام[١]، وليحذر من مُفاجأة الشيخ[٢] بصورة ردّ عليه مثل أن يقول له: أنت قلتَ فيقول: ما قلت، فحاصله إذا فاجأه أو أراد أن يردَّ عليه فليكن بألطف عبارة ولو في غير ذلك المجلس كأن يقول: هل تلمّحتم جوابًا عن ذلك الإشكال أو علَىَ ذلك التعقُّب؟ وإذا سبق لسان الشيخ إلى تحريف كلمة أن لا يضحك ولا يستهزئ ولا يعيدها كأنه يتنادر بها عليه، ولا يغمز غيره ولا يشير إليه بل ولا يتأمل ما صدر منه ولا يدخله قلبه، ولا يصغي إليه بسمْعه، ولا يحكيه لأحد، فإن اللسان سَباق والإنسان غير معصوم، وفاعل شيءٍ مما ذُكر مع شيخه مُعرّض نفسه للحرمان، والبلاء والخسران، مستحقٌّ للزجر والتأديب، والهجر والتأنيب والله أعلم.

ومنها[٣]: أن لا يسبق الشيخَ إلى شرح مسألة أو جواب سؤالٍ منه أو من غيره، لا سيما إذا كان من غيره وتوقّف الشيخ، ولا يساوقه فيه، ولا يظهر معرفةً به أو إدراكه له قبل الشيخ، إلاّ أن يعلم من الشيخ إيثارَ ذلك منه، أو عرَض الشيخ عليه ذلك ابتداءً والتمسه منه فلا بأس به حينئذ، ولا يقطع على الشيخ كلامه ولا يسابقه، وإذا سمع الشيخ يذكر حُكمًا في مسألة أو فائدة

(١) تذكرة السامع ١٠١ ـ ١٠٢.
(٢) تذكرة السامع ١٠٢.
(٣) تذكرة السامع ١٠٦ ـ ١٠٧.

مُستغربة أو يحكى حكايةً أو يُنشِد شعرًا وهو يحفظ ذلك أن يُصغىَ إليه إصغاءَ مستفيدٍ متعطّشٍ إليه فرِحٍ به كأنه لم يسمعه[١] قطّ قال عطاء[٢]: إنى لأسمع الحديث من الرَّجل وأنا أعلم به منه فأُريه من نفسى أنى لا أحسن منه شيئًا[٣] وعنه قال: إن الشابَّ ليَتحدَّث بحديث فأستمع له كأنى لم أسمعه، ولقد سمعتُه قبلَ أن يولدَ[٤]، فإن[٥] سأله الشيخ عند الشروع فى ذلك عن حِفظه للحديث أو للمسألة فلا يجيب بِلا لما فيه من الكَذِب، ولا يجيب بنعم لما فيه من الاستغناء عن الشيخ، بل يقول: أُحِبُّ أن أستفيدَه، أو عهدى به بعيد، فإن علم من حال الشيخ أنه يسرُّه الا يراد امتحانًا لضبطه وحفظه وتحصيله فلا بأس بذلك[٦] ولا ينبغى[٧] أن يكرر ما يعلمه، ولا استفهام ما يفهمه، فإنه يُضيّعُ الزّمان، وربما أضجرَ الشيخَ قال الزُّهرى[٥]: إعادة الحديث أشدّ من نقل الصخر[٨] ولا ينبغى أن يُقصرَ فى الإصغاء والتفهم، أو يَشغَل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيدُ الشيخَ ما قاله لأن ذلك إساءَةُ أدب، بل يكون مصغيًا لكلامه حاضر الذّهن لِما يسمعه من أوّل مرّة، وكان بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا إذا استعاده، ويَزبُره عقوبةً له، أما إذا لم يسمع كلامَ الشيخ لبُعدِه أو لم يفهمه

---

(١) تذكرة السامع ١٠٤ ـ ١٠٥

ويحكى أن جالينوس كان يقرر يومًا فى مسألة مشكلة والطلبة به محدّقون، فقال لهم: فهمتم، قالوا: نعم، قال: لا، لو فهمتم لظهر السرور على وجوهكم.

(٢) هو ابن أبى رَبَاح، عطاء بن أسْلم بن صفوان: تابعى، من أجلاء الفقهاء كان عبدًا أسود، ولد فى جند باليمن، ونشأ بمكة فكان مفتى أهلها ومحدّثهم، قال أبو حنيفة: ما رأيت أحدًا أفضل من عطاء توفى فى مكة سنة ١١٤هـ، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٩٩، ونكت الهميان ١٩٩.

(٣) تذكرة السامع ١٠٥.

(٤) تذكرة السامع ١٠٥.

(٥) تذكرة السامع ١٠٥.

(٦) تذكرة السامع ١٠٦.

(٧) هو ابن شهاب الزهرى، محمد بن مسلم بن عبد الله، أبو بكر، وهو من أعلم الحفّاظ.

(٨) انظر قوله فى تذكرة السامع ١٠٦.

مع الإصغاء إليه والإقبال عليه فله أن يسأل الشيخ إعادته أو تفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف[١].

ومنها: أن لا يسأل عن شيء[٢] في غير موضعه ففاعل ذلك لا يستحق جوابًا، إلاَّ أن يعلم من حال الشيخ أنه لا يكره ذلك، ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه، ويتلطف في سؤاله ليُحسن في جوابه، قال ﷺ: الاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ[٣].

ومنها: أن لا يستحي[٤] من السؤال عما أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح. فمن رق وجهه رق علمه، ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرِّجَال، وقال ابن شهاب: العلم خزائنُ ومفتاحه المسألة[٥]، وإذا قال له الشيخُ: أفهمت؟ فلا يقل نعم قبل أن يتضح له المقصود من المسألة إيضاحًا جليًا لئلا يكذب ولا يستحي من قوله لم أفهم[٦]، لأن استثباته يُحصّل له مصالحَ عاجلةً وآجلة[٧]. فمن العاجلة: حفظ المسألة وسلامته من الكذب وإظهار فهم ما لم يكن فهمه، واعتقاد الشيخ اعتناءَه بالعلم ورغبته وكمال عقله وورعه ونصحه لنفسه، ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائمًا، وعن الخليل ابن أحمد: منزلة الجهل بين الحياء والأنَفَة[٨].

ومنها: أن يكون ذهنه حاضرًا مع الشيخ[٩]، فإن أمره بشيء بادر إليه ولم يعاوده فيه، وإذا ناوله شيئًا تناوله التلميذ باليمين، وإذا تناول هو شيئًا تناوله

---

(١) تذكرة السامع ١٠٦.
(٢) تذكرة السامع ١٥٢.
(٣) المعجم الأوسط ٧/٥٦ و ٥٧، وشعب الإيمان ٥/٢٥٤، وفيض القدير ٣/١٨١، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٢٠، كشف الخفاء ١/١٧٩، مجمع الزوائد ١/ ١٦٠، صفوة الصفوة ١/٢١٢.
(٤) تذكرة السامع ١٥٦.
(٥) سنن الدارمي ١/٤٥٨، حديث رقم ٥٦٦.
(٦) تذكرة السامع ١٥٧.
(٧) تذكرة السامع ١٥٧.
(٨) تذكرة السامع ١٥٧.
(٩) تذكرة السامع ١٠٨ ـ ٢٠٩.

باليمين، وإذا ناول هو شيخه شيئًا ناوله باليمين، وإن كان ورقةً كفُتيا أو قصة مثلاً نشرها ثم دفعها إليه، ولا يدفعها مطويةً إلاّ إذا علم أو ظن إيثار الشيخ لذلك. وإذا أخذ من الشيخ ورقة بادر إلى أخذها منشورةً قبل أن يطويها ويُتْرِبُهَا ثم يطويها. وإذا ناول الشيخ كتابًا ناوله إياه مُهيأً لفتحه من غير احتياج إلى إدارته. وكذا إن كانت مطالعته في موضع معين يُهيئه له ولو بالتقريب، ولا يحذف إليه الشيءَ، ولا يمدّ يده إلى حاجة إذا كان بعيدًا عنها كأن يتكئ لجنبه ليأخذَ ذلك الشيءَ، بل يقوم إليه ولا يزحف زحفًا، وإذا وضع بين يديه دواةً فليضعها مفتوحةً، وإذا ناوله سكّينًا[1] فلا يصوّب إليه رأس نصلها ولا نصابها، بل يناوله إياها عرضًا لأنه إن ناوله نصلها فقلة أدب من حيث أنه أشار إليه بنصل السكين، وإن ناوله نصابها يخشى علَىَ يدّ المناول من انفتال الحدّ إلى أصبعه، فالأولى العرض، وليكن الحدُّ في العرض إلى جهته قابضًا علَىَ طرف النصاب، مما يلي النصل ليأخذَ هو بأوّل النصاب وإن ناوله سجادةً[2] ليصلي عليها نشرها أوّلاً، والأدب أن يفرشها عند قصد ذلك، قال ابن جماعة: وإذا فرشها ثنى مؤخّر طرفها الأيسر كعادة الصوفية[3]، فإن كانت مَثنيةً جعل طرفها إلى يسار المصلي، وإن كان فيها صورة محراب تحرّى به القبلة إن أمكن[4]، ولا يجلس بحضرة الشيخ علَىَ سجادة، ولا يصلي عليها إذا كانَ المكان طاهرًا[5]، وإذا قام بادر القوم إلى أخذ السجادة وإلى الأخذ بيده أو عضُده إن احتاج[6]، وإلى تقديم نعله إن لم يشق ذلك علَىَ الشيخ ويقصد بذلك كله

---

(١) تذكرة السامع ١٠٩.
(٢) تذكرة السامع ١٠٩.
(٣) تذكرة السامع ١٠٩.
(٤) تذكرة السامع ١٠٩.
(٥) تذكرة السامع ١٠٩.
(٦) تذكرة السامع ١٠٩.

التقرُّبَ إلى الله تعالى وإلى قلب الشيخ[١] وقيل اربعة لا يأنَف الشريف منهن وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم الذى يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم، وخدمته للضيف[٢].

ومنها: أن يقوم بقيام الشيخ ولا يجلس وهو قائم، ولا يضطجع وهو قائمٌ أو قاعد، بل ولا يضطجع بحضرته مطلقًا إلاَّ أن يكون وقت نوم ويأذن له، ويقوم له كلما ورد عليه ولو تكرر لزيادة التوقير والإعظام والاحترام، وقد تقدَّم أن شيخ الإسلام النووى ألف كتابًا فى مسألة القيام[٣].

ومنها: إذا مشى مع شيخه ليلاً فليكن أمامه[٤]، أو نهاراً فليكن وراءه إلاَّ أن يقتضى الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها[٥]، وليتّبعْ فى ذلك عادة أهل البلد فمتى خالف نسب لقلة الأدب، ومما يُنسب لشيخ الإسلام البرهان[٦] بن جماعة ما لفظُه: فائدة من عادة الفقراء المشىُ خلف الشيخ، ومن عادة الفقهاء المشىُ بين يدى الشيخ، وقد ورد فى الحديث أنَّ أصحاب النبى ﷺ كانوا يمشون بين يديه ولا يدع أحداً يمشى خلفه ويقول: دَعُوا ظَهْرِى لِلْمَلائكة[٧].

قلت: ولهذا ترى الدَّولة يكون رئيسهم وكبيرهم وراء القوم، وهذا أصله.

ومن فعل عكس ذلك من الأكابر فمراده أن لا يتشبه بمن هوأ كبر منه ولكن

---

(١) تذكرة السامع ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) تذكرة السامع ١١٠.

(٣) انظر ما سبق ١٢٤ الحاشية الثامنة.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم صـ ١١٠.

(٥) خرج القاضى ابن سريج، وابن داود الظاهرى، ونفطويه إلى وليمة دعوا لها، فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه، فقال: ابن سريج: ضيق الطريق يورث سوء الأدب، وقال ابن داود: لكنه يعرف مقادير الرجال، فقال نفطويه: إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف.

(٦) هو صاحب كتاب تذكرة السامع والمتكلم، ولمْ نجد هذا القول فى كتابه.

(٧) مجمع الزوائد ٤/ ١٣٦، ومسند أحمد ٣/ ٣٩٧، وحلية الأولياء ٧/ ١١٧، وسنن الدارمى ١/ ٣٧، والبيان والتعريف ١/ ١٧٠، ومصباح الزجاجة ١/ ٣٦، وشرح سنن ابن ماجه ١/ ٢٢.

تقوته السُّنة، ولا يخفى الفرق بين صدر الصَّحابة ورئيسهم، ولا بين من تأخّر عنهم خصوصًا فى زماننا، لأن الصَّحابة ورئيسهم ﷺ كان كأحدهم لا يتميز من بينهم بزيادة ثوب فاخر ولا فرس مسوَّمة، ولا تقدَّم القوم عليه بمسافة ليمشى وحده مما يُفعل فى زماننا من ذلك من تقدَّم الفرسان ثم المشاة ثم السعادة، ثم الانفراد، وهذا عين الجبروت، فأصله سُنة ولكن انقلب ذلك إلى طريق البِدعة، اللهم إلاَّ أن يقصد بذلك رهبة العصاة والطغاة والغادرين فلا بأس وهو أعلم بالنيات، والمطلع علَىَ الطَّويات.

ويتعين تقدم التلميذ علَىَ الشيخ ليلاً ونهارًا فى المواضع المجهولة[١] الحال كالوحل والوجَل والحوض والمواضع الخطِرة، ولا يمشى[٢] إلى جانبه إلاَّ لحاجة أو إشارة منه، ويعرّفه بمن يقصدُه وهو ماشٍ من الأعيان إن لم يعلم به، ويؤْثره بجهة الظّلّ فى مشيه فى الصيف، وفى الشتاء بجهة الشَّمس، ولا يمشى بين الشَّيخ[٣] وبين مَن يُحدّثه الشيخُ، ويتأخَّر عنهما أو يتقدَّم ولا يتسمّع، فإن أدخلاه فى حديثهما فلْيدخل من الجانب الآخر عن يمينه أو يَساره ليكون الشيخ وسَطًا، وإذا مشى مع الشَّيخ اثنان فليكن الأسَن عن يمينه، وإذا صادف الشَّيخَ فى الطَّريق بدأه بالسَّلام، ويَقصدُه إن كان بعيدًا ولا يُناديه، وإذا رافقَه لا يُشير ابتداءً بالأخذ فى طريق حتى يَستشيره[٤]، والله أعلم.

---

(١) تذكرة السامع ١١٠.

(٢) تذكرة السامع ١١١.

(٣) عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ، قال: لا يحلّ لرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما، الأدب المفرد ١٦٥.

(٤) تذكرة السامع ١١١ ـ ١١٢.

القسم الثالث

في آداب درسه وقراءته وما يعتمده مع شيخه ورفقته[١] حينئذ

فمنها: أن يَبتدئَ أوَّلاً مَن وفَّقه الله تعالى بحفظ كتاب الله العزيز حفظًا[٢] مُتقنًا فهو أصل العلوم وأهمُّها، وكان السَّلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلاّ لمن حفظ القُرآن، وإذا حفظَه فلْيحذر من الاشتغال عنه بغيره من العلوم كالحديث والفقه اشتغالاً يؤدّى إلى نسيان شيءٍ منه أو تغريضه للنّسيان، بل يتعهَّد دراستَه ومُلازمةَ وِردٍ منه كلَّ يوم أو أيامٍ أو جمعة دائمًا أبدًا كما تقدّم[٣]، قال ابن جماعة[٤]: ويجتهد بعد حفظه علَىَ إتقان تفسيره وسائر علومه[٥]. انتهى.

ثم يحفظ فى كلّ فنّ مُختصرًا[٦] يجمع فيه بين طرفيه، ويقدّم الأهم فالأهمّ، ومن أهمّها الفقه والنحو والتَّصريف، ثم الحديث وعلومه والأُصول ثم الباقى علَىَ ما تيسر، ثم يشتغل باستشراح محفوظاته علىَ المشايخ[٧]، ولْيحذر من الاعتماد علَىَ الكُتُب ابتداءً، بل يعتمِد من الشيوخ فى كلّ فنّ أكثرَهم تحقيقًا فيه وتحصيلاً منه وأحسنَهم[٨] تعليمًا، فإن أمكن شرح دروسٍ فى كلّ يوم فعل وإلاَّ اقتصر علَىَ الممكن من درسين وثلاثة، وإذا اعتمد شيخًا وكان لا يتأذى بقراءة ذلك الفنّ علَىَ غيره فلْيقرأ علَىَ ثانٍ وأكثر ما لم يتأذَّوا،

---

(١) انظر هذا القسم، وهو الفصل الثالث من تذكرة السامع ١١٢، فما بعد.

(٢) تذكرة السامع ١١٢، ومن حفظ الزهرى أنه حفظ القرآن فى ثمانين ليلة، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٤.
وقال ابن أبى حاتم: لم يدعنى أبى أطلب الحديث حتى قرأت القرآن على ابن شاذان، وكان ابن أبى حاتم بحرًا فى العلوم، ومعرفة الرجال، وقد توفى سنة ٣٢٧هـ، تذكرة الحفاظ ٣/ ٤٢٨.
وقال ابن خلكان: ولما بلغ الرئيس الحكيم أبو على ابن سينا عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز.

(٣) تذكرة السامع ١١٣.
(٤) تذكرة السامع ١١٣.
(٥) تذكرة السامع ١١٣.
(٦) تذكرة السامع ١١٣.
(٧) تذكرة السامع ١١٣.
(٨) تذكرة السامع ١١٣ ـ ١١٤.

فإن تأذّى المعتمد عليه اقتصر الطّالب عليه وراعى قلبَه فهو أقرب إلى انتفا ولا يقرأ فى كتب لا يحتملها عقله ولا تَصوُّره، والمطالعة فى التصانيف المتفرّقة يضيعُ الزّمان ويُفرّق الذّهن، بل يُعطى الكتاب الذى يقرأه والفنَّ الذى يأخذه كُلِّيَّه حتى يتقنَه[١].

ومنها: أن يعتنى بتصحيح درسه الذى يتحفظه قبل حِفظه تصحيحًا مُتقنًا[٤] علَىَ شيخه أو علَىَ غيره ممن يكون أهلاً لذلك، ثم يكرر عليه بعد حفظه تكرارًا جيدًا، ثم يعيّن له أوقاتًا للمواضى ليرسخ رسوخًا تامًا، ولا يحفَظ ابتداءً من الكتب، لأنه ربما يقع فى التَّحريف والتَّصحيف، ويُحضر معه الدَّواة والسكين للتَّصحيح، ويضبط ذلك لغة وإعرابًا، وإذا رد عليه الشيخ لفظة وظن أو علم أن ردَّه خلافُ الصواب راجعه برفقٍ لاحتمال سهوه، أو فى مجلس آخر لاحتمال أن يكون الصواب مع الشيخ، وهذا لا يفوت علَىَ التلميذ بخلاف ما يفوت كأن يكتب الشيخ علَىَ رقعةٍ فتوى علَىَ خلاف الصواب، وكون السائل غريبًا أو بعيد الدَّار أو مشنّعًا تعيّن تنبيه الشيخ فى الحال بإشارة أو تصريح، فإنّ تركه ذلك خيانةٌ للشيخ، فيجب نصحُه بلطف، وإذا وقف علَىَ مكان فى الكتاب المحفوظ منه كتب قبالته بلغ العرض أوِ التصحيح[٣]، ويبدأ بالدَّرس الأهم بالأهم من العلوم.

ومنها: أن يذاكر بمحفوظاته ويديم الفكر فيها ويعتنى بما يحصل فيها من الفوائد، ويَقسم أوقات ليله ونهاره[٤] ويغتنم ما بقى من عمره[٥]، وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الإبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة

---

(١) تذكرة السامع ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) تذكرة السامع ١٢١.

(٣) تذكرة السامع ١٢٦.

(٤، ٥) تذكرة السامع ٧٢، وقال الشيخ فخر الدين الرازى: والله إننى أتأسف فى الفوات عن الاشتغال بالعلم فى وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز.

والمذاكرة الليل[(١)] وقال الخطيب[(٢)]: أجود أوقات الحفظ الأسحار[(٣)]، ثم وسط النهار، ثم الغداة، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع[(٤)]، وأجود أماكن الحفظ الغرف وكلّ موضع بعيد عن الملهيات، قال: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والحضرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خلوّ القلب[(٥)] غالبًا.

ومنها: أن يبكر بدرسه لخبر: بُورِكَ لأُمتى فِى بُكُورِهَا[(٦)]، ولخبر: اغدُوا فِى طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنِى سَأَلْت رَبّى أَنْ يُبَارِكَ لأُمَّتِى فِى بُكُورِهَا[(٧)]، ويجعل ذلك يوم الخميس رواه الطبرانى بسند ضعيف[(٨)]، وفى رواية: بُورِكَ لأُمَّتى فِى بُكُورِهَا يَوْمَ سَبْتِهَا وَخَمِيسِهَا[(٩)]، وجاءَ فى الخبر أنه ﷺ قال: اطْلُبُوا الْعِلْمَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ فَإِنَّهُ يُيَسَّرُ لِطَالِبِهِ[(١٠)]، وروى بعضهم فى يوم الأربعاء خبرَ: مَا مِنْ شَىْءٍ

---

(١) قال على بن الحسن بن شقيق: قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد، فذاكرنى عند الباب بحديث، فذاكرته، فما زال يذاكرنى حتى جاء المؤذن، وأذن للفجر.

(٢) تذكرة السامع ٧٣.

(٣) قال الخليل بن أحمد الفراهيدى: أصفى ما يكون ذهن الإنسان فى وقت السحر.

(٤) تذكرة السامع ٧٣. (٥) تذكرة السامع ٧٣.

(٦) مجمع الزوائد ٤/ ٦١، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٠، فتح البارى ٦/ ١١٤، وتحفة الأحوذى ٤/ ٣٣٨، وفيض القدير ٣/ ٢٠٨، وكشف الخفاء ١/ ٢١٤، ومسند أبى يعلى ٩/ ٢٨١، والترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٦.

(٧) الكامل فى ضعفاء الرجال ١/ ٣٦، والعلل المتناهية ١/ ٣١٣، ١/ ٣٢٣.

(٨) المعجم الأوسط للطبرانى ٥/ ٢٥٦ و ١١٣.

والطبرانى هو: أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب، اللخمى الشامى: من كبار المحدثين، أصله من طبرية بالشام، وإليها نسبته، ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز وكثير غيرها، وتوفى بأصبهان سنة ٣٦٠هـ، وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٧، والسير ١٦/ ١١٩، وطبقات الحفاظ ٣٨٨.

(٩) كشف الخفاء ١/ ٢١٤و ٣٤٢، وفيض القدير ٣/ ٢٠٨، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال ١/ ٢٩٣، ٥/ ٣٦٣، ٦/ ٣٥٣.

(١٠) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٠، وتحفة الأحوذى ٤/ ٣٣٨، ومسند الشهاب ٢/ ٣٤٢، وفيض القدير ١/ ٥٤٣، والمجروحين ١/ ١٥٥، ومجمع الزوائد ٤/ ٦١ ـ ٦٢، والمعجم الصغير ١/ ٦٠، والعلل المتناهية ١/ ٣٢٣.

بُدِئَ يوم الأَرْبِعَاءِ إِلاَّ وَقَدْ تَمَّ[١]، ونُقِل عن أبى حنيفة ﷺ أنه كان يوقف بداية الاشتغال علَىَ يوم الأربعاء[٢]، ورأيت كثيرًا من مشايخنا يتحرَّون الابتداء يوم الأحد، فينبغى مزيد الاعتناء بهذه الأيام وهذه الأوقات إِلاَّ أن تجرىَ عادة الشيخ بغير ما ذكر، فلا يَعترض عليه[٣].

ومنها: أن يبكر[٤] بسَماع الحديث ولا يُهمل الاشتغال به وبعلومه، والنظر فى إسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه وفوائده ولغته وتواريخه، ويعتنى أوَّلاً[٥] بصحيحى البخارى ومسلم، ثم ببقية الكتب الأعلام الأُصول المعتمَدَة فى هذا الشأن كموطأ مالك[٦] وسنن أبى داود[٧] والنَّسائى[٨] وابن ماجه[٩] وجامع الترمذى[١٠] ومسند الشافعى[١١]، ويعتنى بالدّراية عن الرّواية[١٢] قال الشافعى ﷺ: من نظر الحديث قَويت حُجته، ولأن الدّراية هى المقصود بنقل الحديث وتبليغه[١٣].

ومنها: أن يعتنى برواية كتبه التى قرأها أو طالعها لا سيما محفوظاته، فإن الأسانيد أنساب الكُتب، وأن يحترص علَىَ كلمة يحفظها من شيخه أو شعر

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٦.

(٢) انظر تعليم المتعلم للزرنوجى ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) أدب الإملاء والاستملاء ٢٣ ـ ٢٤.

(٤) تذكرة السامع ١٢٦.

(٥) تذكرة السامع ١٢٧.

(٦ - ١٠) هذه الكتب هى دواوين الأحاديث النبوية، والكتب الأعلام، وهى الأصول المعتمدة فى معرفة الأحاديث النبوية، ونعم المعين للمتعلم أيضًا كتاب السنن الكبير لابى بكر البيهقى، وصحيح ابن حيان البُستى، ومن ذلك المسانيد، كمسند الإمام أحمد، وابن حميد، والطيالسىّ، والبزار، ومعاجم الطبرانى الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير، وغير ذلك كثير...

(١١) وهو مطبوع مشهور.

(١٢) فى تذكرة السامع ١٣١: «بل يعتنى بالدراية أشد من اعتنائه بالرواية» والدراية: علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها مبتنيًا على قواعد العربية، وضوابط الشريعة، مطابقًا لأحوال النبى ﷺ.

(١٣) تذكرة السامع ١٣٣.

يُنشده أو يُنشيه أو مؤلَّف يؤلفه ليَروى ذلك سنه، ويجتهد علَىَ روايات الأُمور المهمة كالفقه والفوائد النفسية والمسائل الرّقيقة، والفروع الغربية وحل المشكلات والفروق فى الأحكام المتشابهات من جميع الأنواع ويعلق ذلك بالكتابة، قال ﷺ: قَيِّدُوا الْعِلْمَ، قلت: وما تقييده؟ قال: كِتَابَتُهُ[١]، وكان رجل من الأنصار يجلس إلى النبى ﷺ فيسمع منه الحديث فيُعجبه ولا يحفظه، فشكى ذلك إلى النبى ﷺ فقال ﷺ: اسْتَعِنْ بِيَمِينِكَ وأومأ بيده[٢] أى خُطَّ، وعن عمر رضي الله عنه: قيدوا العلم بالكتاب[٣] وعن معاوية بن قرّه[٤] قال: كان يقال: من لم يكتب علمه لم يُعَدّ علمه علمًا، وروى عن الحسن بن على[٥] رضي الله عنهما أنه دعا بنيه وبنى أخيه فقال: إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبْه وليضعه فى بيته[٦].

وينبغى بل يتعين[٧] أن تكون همتُه فى طلب العلم عاليةً، فلا يكتفى بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره، ولا يؤَخر تحصيل فائدةٍ تمكن منها، ولا يَشغله الأمل والتَّسويف عنها، فإن للتأخير آفات، ولأنه

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٢٤٦، ومعجم الزوائد ١/ ١٥٢، ومسند الشهاب ١/ ٣٧٠.

(٢) فيض القدير ١/ ٦٢٨، وكشف الخفاء ١/ ١٢٩.

(٣) مجمع الزوائد ١/ ١٥٢، والطبقات الكبرى ٧/ ٢٢، وفيض القدير ٤/ ٦٩٣.

(٤) هو أبو إياس المزنى البصرى والد القاضى إياس، ابن إياس بن هلال بن رئاب: مُحدث ثقة من كبار التابعين، لقى كثيرًا من أصحاب النبى ﷺ توفى سنة ١١٣هـ، السير ٥/ ١٥٣ تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٦.

(٥) هو أبو محمد، الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى: خامس الخلفاء الراشدين، وثانى الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وهو أكبر أولادها وأولهم، ولد فى المدينة المنورة، وتوفى مسمومًا بها سنة ٥٠ هـ.

(٦) سنن الدارمى ١/ ٤٤٣، حديث رقم ٥٢٨.

(٧) تذكرة السامع ١٣٣.

إذا حصلها فى الزمن الحاضر نفعته فى الزمان الآت[١]، ويغتنم وقت[٢] الفراغ والنشاط، ويجتهد فى الاستنتاج والاستنباط، قبل عوارض البطالة، وموانع الرئاسة والملالة، وليحذر كل الحذر من نظر نفسه بعين الكمال، والاستغناء عن المشايخ فإنّ ذلك من فعل الجهال[٣]، ويلازم حلْقة شيخه فى التدريس والإقرا، فإنه لا يزيده التحصيل إلاّ خيرا، كما قال على رضي الله عنه وقد سلف: ولا تَشبع[٤] من طول صحبته فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة، ولا يقتصر[٥] علَىَ سَماع درسه فقط فإن ذلك من قصور الهمة، بل يعتنى بسائر الدُّروس شرحًا وتعليقًا ونقلاً إن احتمل ذهنه حتى كأن كلّ درس منها له.

وأما دروس التقسيم فشأنها كدرسٍ واحدٍ فمن لم يُطِقْ ضبطها لا يصلُح لدخوله فيها، وإذا حضر[٦] مجلس الشيخ فيسلّم علَىَ الحاضرين بصوت يُسمعُهم ويخصّ الشيخ بمزيد تحية، وكذا يُسلّم إذا انصرف، قال ابن جماعة: وعد بعضهم حلق العلم فى حال أخذهم العلم منه من المواضع التى لا يُسلَّم فيها، وهذا عليه العمل لكن محله فى شخصٍ واحدٍ مشتغل بحفظ درسه، وإذا سلم[٧] فلا يتخطى رقاب الحاضرين إلى قرب الشيخ إن لم تكن منزلته، بل

---

(١) تذكرة السامع ١٣٤.
(٢) تذكرة السامع ١٣٤.
(٣) تذكرة السامع ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٤) تذكرة السامع ١٤٢.
(٥) تذكرة السامع ١٤٢.

قال الإمام الذهبى: إن الشيخ محيى الدين (النووى) ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسًا على مشايخه شرحًا وتصحيحًا، درسين فى الوسيط، ودرسًا فى المهذب، ودرسًا فى الجمع بين الصحيحين، ودرسًا فى صحيح مسلم، ودرسًا فى اللمع لابن جنى، ودرسًا فى إصلاح المنطق، ودرسًا فى التصريف، ودرسًا فى أصول الفقه، ودرسًا فى أسماء الرجال، ودرسًا فى أصول الدين، وقال النووى: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله فى وقتى.

تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥١.

(٦) تذكرة السامع ١٤٦.
(٧) تذكرة السامع ١٤٦.

يجلس حيث انتهى به المجلس كما ورد فى الحديث[١]، فإنْ قدَّمه الشَّيخُ والحاضرون فلْيتقدَّمْ لانْتِفَاع الحاضرين بِمُذا كرَته مع الشَّيخِ أو لِكِبَرِ سِنّه أوْ لصلاح[٢].

ومنها: أن يحرص علَىَ قُربه من الشيخ ليفهمَ منه بلا مشقة بشرط أن لا يرتفع علَىَ أفضلَ منه[٣]، ولا يؤثر بقُربه من الشيخ إلاَّ من هو أولى منه، ولا يقرّب من ينتسب فيه إلى قلة أدبٍ، وإذا سبق التلميذ إلى مكان فى مجلس الدَّرس وأَلِفَه كان أحقَّ به، فليس لغيره أن يُقيمه منه، ولا يَبْطُل حقُّه بانقطاعه يومًا أو يومين مثلاً لضرورة إذا حضر، والكلام فيه كالكلام فى محترِف إذا أَلِفَ مكانًا من شارعٍ، والمسألة مشروحة فى محلها من كُتب الفقه، واعلم أنه إذا كان الشيخ فى صدر المكان فأفضل الجماعة أحقّ بما علَىَ يمينه ثم شماله، وقد جرت العادة[٤] فى مجالس التدريس بجلوس المتميّزين قُبالةَ وجه المدرس والمبجَّلين من معيدٍ[٥] وزائر عن يمينه ويساره[٦]، وينبغى أن يتأدَّب[٧] مع رفقته

---

(١) عن جابر بن سمرة قال: كنّا إذا أتينا النبى ﷺ جلس أحدنا حيث انتهى، الأدب المفرد ١٦٤.

(٢) تذكرة السامع ١٤٧. (٣) تذكرة السامع ١٤٧. (٤) تذكرة السامع ١٤٩.

(٥) المبجّلون: هم المعظمون ممن حضر من العلماء، والمتميزون من الطلبة عند الشيخ علمًا وفضلاً، أو الشيخ الكبير، والسيد العظيم. تاج العروس (بجل).

والمعيد: هو الذى يعيد الدرس بعد إلقاء الشيخ الخطبة على الطلبة، كأنه معين الشيخ على نشر علمه وتشييت خطباته وإملائه فى أذهان الطلاب شرحًا وبسطًا، ومعاون للطلبة فى إعادة المحفوظات والمراجعة فى المذكرات، فهو دون الشيخ وأعظم درجة من عامة الطلبة، وفى تاج العروس: وقال شمر: المعيد من الرجال: العالم بالأمور الذى ليس بغمر، والحاذق المجرّب.

(٦) قال الحافظ جعفر بن محمد: ما رأيت فى المحدثين أهيب من محمد بن رافع كان يستند إلى شجرة الصنوبر فى داره، فيجلس العلماء بين يديه على مراتبهم، وأولاد الطاهرية ومعهم الحدم، كأن على رءوسهم الطير. تذكرة الحفاظ ٢/٥٨.

وذكر ابن بطوطة فى رحلته ١٦٧، والمدرسة المستنصرية ببغداد. فقال: يقعد المدرس وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه.

وانظر تذكرة السامع ١٥٠.

(٧) تذكرة السامع ١٥٢.

وحاضرى مجلس شيخه، فإن تأدُّبه معهم تأدُّب مع الشيخ واحترام له، ولا يقيم أحداً من مجلسه ولا يزاحمه ولا يقبل من يؤثره بمجلسه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **نهى رسول الله ﷺ أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخَر، ولكن تفسحوا وتوسعوا[١]، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له الرجل من مجلسه لم يقعد فيه، ولا يجلس وسْط الحلْقة ولا قدّام أحدٍ بلا ضرورة[٢]، وينبغى أن يكون حراماً شديداً لأن رسول الله ﷺ لعن من جلس سط الحلْقة[٣].**

ومنها: أن لا يجلس بين أخوين أو أبٍ وابن أو قريبَينِ أو متصاحبَينِ إلاَّ برضاهما معًا، قال ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يجلس الرَّجل بين الرَّجلين إلاّ بإذنهما[٤]، وإذا جاء قادم أن يرحبوا له ويوسعوا له ويتفسحوا لأجله ويكرموه بما يكرم به مثلُه[٥]، ولا يخرج عن بنية الحلْقة بتقدُّم أو تأخُّر، ولا يتكلم أثناءَ درس غيره أو درسه بما لا يتعلق به أو يقطع عليه بحثه، ولا يُشارك أحد من الجماعة أحداً فى حديثه[٦]، قال بعض الحكماء: من الأدب أن لا يشارك الرّجل فى حديثه وإن كان أعلمَ به منه[٧]، وأنشد الخطيب فى هذا المحل[٨] (من الرجز):

* ولا تُشارك فى الحديث أهلَهُ *

---

(١) رواه البخارى ٥/ ٢٣١٣، وسنن الترمذى ٥/ ٨٨، وتحفة الأحوذى ٨/ ٢٠، وتفسير القرطبى ١٧/ ٢٩٨.

(٢) الأدب المفرد ١/ ٣٩٥.

(٣) السنن الكبرى للبيهقى ٣/ ٢٣٤ و ٢٣٥، وسنن أبى داود ٤/ ٢٥٨، والجامع لاخلاق الراوى ١/ ١٧٦، وكشف الخفاء ١/ ٣٩٤.

(٤) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما. أبو داود ٢/ ١٨٦.

(٥) تذكرة السامع ١٥٣.

(٦) تذكرة السامع ١٥٣.

(٧) تذكرة السامع ١٥٦، والجامع لأخلاق الراوى ١/ ٣٠٤.

(٨) فى كتابه: الجامع لأخلاق الراوى ١/ ٣٠٤ وانظر أيضًا تذكرة السامع ١٥٦.

* وإن عرفتَ فرعه وأصلَه[١] *

ومنها: إذا أساءَ بعض الطلبة أدبًا علَىَ غيره لم يتهزه غير الشيخ إلاَّ بإشارته[٢]، وإن أساء أحدٌ أدبًا علَىَ الشيخ تعيّن على الجماعة انتهاره ورده والانتصار للشيخ بقدر الإمكان وفاء لحقّه[٣]، وإذا أراد القراءة علَىَ الشيخ يراعى نوبته[٤] تقديمًا وتأخيرًا، روى أن أنصاريًا جاء إلى النبى ﷺ يسأله وجاء رجل من ثَقيف فقال رسول الله ﷺ: يَا أخَا ثَقيف إنَّ الأنْصَارِىَّ قَدْ سَبَقَكَ بِالْمَسْأَلَة فَاجْلِسْ كَيْمَا نَبْدأ بِحَاجَةِ الأنْصَارِى قَبْلَ حَاجَتِكَ[٥] ولا يؤثر بنوبته غيرَه، فإن الإيثار بالقُرَب مكروه[٦]، قال الخطيب: يستحبُّ للسابق أن يقدّم علَىَ نفسه من كان غريبًا لتأكُّد حرمته[٧]، وكذلك[٨] إذا كان للمتقدّم حاجةٌ ضرورية وعلمها المتقدّم يستحبُّ له تقديمه عليه، وتحصيل النَّوبة بتقديم الحضور، ولا يسقط حقُّه بذهابه إلى ما يُضطر إليه من قضاء حاجة وتجديد وضوء إذا عاد بعده، وإذا تساويا وتنازعا أقرع بينهما، ومعيد المدرسة إذا شُرط عليه إقراء أهلها فيها فى وقت، فلا يقدم عليهم الغرباءَ بغير إذنهم، ويكون جلوسه[٩] بأدب مع شيخه، ويحمل كتابه بنفسه ولا يضعه حال القراءة مفتوحًا، بل يحمله بنفسه بيديه، ويقرأ منه بعد الاستعاذة والبسملة والصلاة علَىَ النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وآله وصحبه، ثم يدعو للشيخ[١٠] ولوالديه ومشايخه وللعلماء ولنفسه ولسائر المسلمين، وكذلك يفعل كلما شرع فى قراءة

---

(١) والبيت بلا نسبة فى الجامع لأخلاق الراوى ١/ ٣٠٤، ومثله فى تذكرة السامع ١٥٦.
تذكرة السامع ١٥٦.

(٢) تذكرة السامع ١٥٤.
(٣) تذكرة السامع ١٥٤.
(٤) تذكرة السامع ١٥٨.
(٥) تذكرة السامع ١٥٩.
(٦) تذكرة السامع ١٥٩.
(٧) تذكرة السامع ١٥٩.
(٨) تذكرة السامع ١٥٩.
(٩) تذكرة السامع ١٦٠.
(١٠) تذكرة السامع ١٦٢.

درس أو مطالعة أو مقابلة فى حضور الشيخ أو فى غيبته، ويترحم[١٣] علَىَ صاحب الكتاب عند قراءته، وإذا فرغ من الدَّرس دعا للشيخ أيضًا، فإن ترَكَ الطالبُ الاستفتاح بما ذكرناه جهلاً أو نسيانًا ذكّره الشيخ أو علّمه إياه، فإنه من أهمّ الآداب، وقد ورد الحديث الحسن فى ابتداء الأمور المهمة باسْم الله وبحمده[١٤].

ومنها: أن يذاكر من يرافقُه من مواظبى مجلس الشيخ بما وقع فيه من الآداب والفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، ويعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم[١]، وينبغى الإسراع بها بعد القيام من المجلس قبل تفرُّق الأذهان وتشتت الخواطر[٢]، قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علمه[٣]، وقال الشاعر (من الطويل):

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه
ولم يستفد علمًا نَسِى ما تعلّما[٤]
فكم جامع للكتب فى كل مَذهب
يزيد مع الأيام فى جمعه عَمى

وأجود الأوقات للمذاكرة الليل كما قال بعضهم[٥]، وكان جماعة يتدئون من العشآء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصُّبح[٦]، فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه ليعلَق ذلك بخاطره إذا كرره، فإن تكرار المعنى علَىَ القلب كتكرار اللفظ علَىَ اللسان، فإذا امتثل ذلك وتكاملت أهليته، واشتهرت

---

(١) تذكرة السامع ١٦٢.

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوى ١/٤٠٧، وضعيف الجامع الصغير ٣٤٣، وفيض القدير ٣/١٩١ ـ ١٩٢، وقال عنه الألبانى: ضعيف جدًا.

(٣) تذكرة السامع ١٤٣. (٤) تذكرة السامع ١٤٣. (٥) فيض القدير ٢/٥٤١.

(٦) البيتان بلا نسبة فى جامع بيان العلم ١/ ٤٣٠ و ١/٤٤٣.

(٧، ٨) تذكرة السامع ١٤٤ ـ ١٤٥.

فضيلته اشتغل بالتصنيف، والجمع والترصيف، لاكتسابه من النهاية حُلة التشريف[١].

فصل
في التصنيف[٢]

ينبغي لمن كَمُلت أهليته، وتمت فضيلتُه أن يعتنى بالتصنيف، ويَجِد في الجمع والتأليف، مُحققًا مسائله، مُثبتًا نقوله واستنباطه، متحريًا إيضاح العبارة وإيجازها، ولا يوضح إيضاحًا ينتهي إلى الركّة، ولا يوجز إيجازًا ينتهي إلى المحق والاستغلاق، ولا يطوّل تطويلاً يؤدّي إلى الملالة، ويجتنب الأدلة الضَّعيفة، والتعليلات الواهية، ويبيّن المشكلات، ويجيبُ عن التعقُّبات ويَفُكّ العضلات، ويستوعب مُعظم أحكام ذلك الفنّ، ويستعمل القواعد والنوادر، فبذلك يظهر له حقائقُ العلم ودقائقه ويثبت عنده العلم ويرسخ إن أكثر التفتيش والمطالعة، والتَّنقيب والمراجعة، والاختلاف من كلام الأئمة ومُتَّفقه وواضحه ومُشكله وصحيحه وضعيفه وراجحه، إلى غير ذلك، من سلوك هذه المسالك، فبذلك يتصف المحقق بصفة المجتهدين، ويرتفع عن درجة الجمود والتَّقليد وينخرط في سلك الأئمة المحققين، قال الخطيب البغدادي: التَّصنيف يُثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر، وجزيل الأجر، ولا يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له فإن ذلك يضرّه في دينه وعلمه وعِرضه وليحذر من إخراج تصنيفه من يده إلاَّ بعد تهذيبه وترداد نظره فيه، وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يُسبَق إليه أكثر، والمراد أن لا يكون هناك مصنَّف يغني عن مُصنَّفه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها فليصنّف من جنسه ما يزيد زيادات يختلف بها مع ضم ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه

(١) تذكرة السامع ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) تذكرة السامع صـ ١٣٦، وكتاب العلم للنووي صـ ٩١.

فيما يَعُم الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه، وليعتن بعلم المذهب فإنه من أعظم الأنواع نفعًا، وبه يتسلَّط المتمكن علَىَ المعظم من باقى العلوم، قال صاحب الأحوَذِى: ولا ينبغى لمصنف يتصدّى إلى تصنيف أن يعدل إلى غير صنفين: إما أن يخترع معنى، أو يبتدع وضعًا ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد للورق والتَّحلى بحلية السَّرَق وهذا لا ينافى ما ذكره بعضهم من أن رُتبَ التأليف سبعة: استخراج ما لم يُسبق إلى استخراجه، وناقص فى الوضع يتمم نقصه، وخطأ يصحح الحكم فيه، ومستغلق بإجحاف الاختصار يشرح أو يتمم بما يوضح استغلاقه، وطويل يُبدد الذهن طوله يختصر من غير إغلاق ولا حذف لما يخل حذفه بغرض المصنف الأوّل، ومتفرّق يجمع أشتات تبدُّده علَىَ أسلوب صحيح قريب، ومنثور غير مرتّبٍ يرتب ترتيبًا يشهد صحيح النظر أنه أولى فى تقريب العلم للمتعلمين من الذى تقدّم فى حسن وضعه وترتيبه وتبويبه، فهذا كالشرح لما ذكره صاحب الأحوذى والله أعلم، قال العلامة الشيخ بدر الدّين بن جماعة: ومن الناس من ينكر التصنيف والتأليف فى هذا الزَّمان علَىَ من ظهرت أهليته ولا وجه لإنكاره إلاَّ التنافس، وإلاَّ فمن تصرَّف فى ورقه ومداده بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة أو غير ذلك لا ينكر عليه، فَلِمَ إذا تصرّف بتسويد ما يُنتَفَع به من علوم الشريعة ينكر ويستهجن؟ أما من لا يتأهل لذلك فالإنكار عليه متَّجه.

ومما نقل عن فعل الأئمة من آداب التصنيف أنه كان المزَنى[1] إذا فرغ من مسألة من المختصر صلى ركعتين، وكان أبو إسحاق الشيرازى[2] شيخ أبى

(١) هو أبو إبراهيم المزنى، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل: صاحب الإمام الشافعى، من أهل مصر، كان زاهدًا عالمًا مجتهدًا قوى الحجة، وهو إمام الشافعيين، قال الشافعى: المزنى ناصر مذهبى، وقال فى قوة حجته: لو ناظر الشيطان لغلبه، توفى فى سنة ٢٦٤هـ.
وفيات الأعيان ١/ ٢١٧ والأعلام ١/ ٣٢٩.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن على بن يوسف الفيروز آبادى الشيرازى: العلامة المناظر، ظهر =

الوفاء بن عقيل[١] لا يَخْرُج إلى فقير إلاَّ إذا أضر النيهَ، ولا يتكلم فى مسألة إلاَّ إذا قدّم الاستعانة بالله تعالى، ولا صنف مسألة إلاَّ بعد أن صلى ركعات، وما روى عن الشيخ أبى إسحاق أيضًا أنه قال لبعض من يخدمه: جعلت علَىَ نفسى أننى كلما صنفت مسألة فى المذهب أو المهذَّب قرأت مائة مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ثم سألت الله أن يُعيد بركتها علَىَ تلك المسألة ورغبت إليه فى الانتفاع بها، وكان الشيخ أبو إسحاق يصلى ركعتين عند فراغ كلّ فصل من المهذَّب(*)، وكان ابن الأَرْغِيانى[٢] من كبار أئمتنا ما يعلق شيئًا من المذهب إلاّ علَىَ طهارة[٣]، وكان الإمام محمد بن إسماعيل البخارى لا يضع حديثًا فى كتاب الصحيح إلاَّ اغتسل وصلى ركعتين[٤].

وقد جرت عادة أئمتنا بعقد مجلس أو عمل وليمة عند ختم كتاب معتبر يؤلّفونه أو يحفظونه، وأصل ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلّم البقرة فى بضع عشرة سنة[٥]، وفى روايةٍ: اثنتى عشرة سنة، فلما ختمها نحر جَزوراً شكراً

= نبوغه فى علوم الشريعة الإسلامية، فكان مرجع الطلاب، ومفتى الأمة فى عصره، واشتهر بقوة الحجة فى الجدل والمناظرة، عاش فقيراً صابراً، ينظم الشعر، وله تصانيف كثيرة، توفى فى سنة ٤٧٦هـ طبقات السبكى ٤/ ٢١٥ والأعلام ١/ ٥١.

(١) هو أبو الوفاء البغدادى، على بن عقيل بن محمد الظفرى: عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد فى وقته، كان قوى الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته، توفى فى سنة ٥١٣هـ، الأعلام ٤/ ٣١٣.

* انظر أقوال الشيرازى فى: طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٢١٧.

(٢) هو سهل بن أحمد بن على، الحاكم أبو الفتح الأَرْغيانىّ: فقيه شافعى، كان إمامًا فاضلاً، حسن السيرة، تولى القضاء فترة، ثم ترك القضاء وانزوى، بعدما حجّ، واشتغل بالعبادة، وتوفى فى قريته (بان) سنة ٤٩٩، وأَرْغيان: اسم لناحيةٍ من نواحى نيسابور، بها عِدَّة من القرى، منها قرية (بان) ولذلك يقال له: البَانِىّ، والأَرْغيانىّ.
وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٣ وطبقات الشافعية ٤/ ٣٩١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٣٩١، وانظر أيضًا مثل هذا الخبر فى تعليم المتعلم ٥١.

(٤) فتح البارى (المقدمة) ٥١٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٤.

(٥) القرطبى ١/ ٤٠.

لله تعالى[١]، وقد اتفق ذلك للحبر شيخ الإسلام ضياء الدّين عبد الملك إمام الحرمين عند ختم كتابه الحفيل الجليل المسمى بنهاية المطلب[٢]، فإنه عقد مجلسًا لتتمته حضره الأئمة والكبار، وختم الكتاب علَىَ رأس الإملاء والاستملاء وتبجّح الحاضرون، لذلك وضع وليمة لحاضرى مجلسه، حكاه جماعة منهم ابن السبكى[٣] فى طبقاته[٤]، ولما فرغ شيخ الإسلام ابن حجر شرحه علَىَ البخارى المسمى بفتح البارى[٥] عمل وليمة حافلة بالمكان الذى بناه المؤيد[٦] خارجَ القاهرة بين كوم الرّيش ومنية الشيرَج، ويسمى بالتاج والسبع وجوه فى يوم السبت ٨ شعبان سنة ٨٤٢، وكان المصروف فى الوليمة علَىَ ذلك نحو خمسمائة دينار[٧]، سئل الإمام أبو عبد الله التِلمْسانى[٨] عن كثرة تصانيف هذه الأُمة واشتغالها بالتصنيف فقال: هذا من فوائد تحريم الخمر عليها وهو قول بديع ومما يلحق بذلك ختم إقراء الكتب أيضًا وهى سنَّة كثير من العلماء المعتبرين الورعين وفى ذلك مصالح وحكم لطيفة تنوف عن الحصر والضبط والله يعلم المفسدَ من المصلح.

---

(١) القرطبى ١/ ٤٠.

(٢) هو كتابه: (نهاية المطلب فى دراية المذهب) انظر الخبر فى طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٧٧، ١٧٨.

(٣) هو أبو نصر، عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى: قاضى القضاة، المؤرخ الباحث، ولد فى القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفى بها بالطاعون سنة ٧٧١هـ، قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله. الدرر الكامنة ٣/ ٣٩، والأعلام ٤/ ١٨٤.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٥) بشرح صحيح البخارى، وقد طبع فى ١٤ مجلداً، وهو من أهم الشروح، وليس بعده شرح.

(٦) هو الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى، أبو النصر، من ملوك الجراكسة بمصر والشام، المتوفى سنه ٨٢٤هـ، الأعلام ٣/ ١٨٢، وخطط المقريزى ١/ ٤٨١.

(٧) انظر نزهة النفوس والأبدان ٤/ ٦١ ـ ٦٤، والذيل على رفع الإصر صـ ٨٠.

(٨) هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن على الإدريسى الحسينى العَلْوينى، المعروف بالشريف التلمسانى: باحث من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب، نشأ بتلمسان، ورحل إلى فاس، وبقى يدرس فيها إلى أن توفى فيها سنة ٧٧١هـ. الأعلام ٥/ ٣٢٧.